الاستمطار الصناعي

وموقف السنة منه

د. نصار منصور محمد عبد الرحيم
الاستاذ المساعد بكلية التربية والعلوم بالخرمة
جامعة الطائف

ومدرس الحديث وعلومه
في كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
جامعة الأزهر بأسيوط

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونشكره ونتوب إليه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه .أما بعدفقد دعت السنة المطهرة قولاً وفعلاً وإقراراً إلي مواكبة المستجدات والتعامل معها والأخذ بالنافع منها ، ومعلوم أن بحر العلم لا نهاية له ، ولهذا أمر الله تعالي بالاستزادة منه قال تعالي ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [1] وما علم الخلائق جميعاً في علم الله بشئ . والاستمطار أو ما يعرف باستحلاب السحب من المسائل الحديثة التي اكتشفها العلم الحديث ، والتي لم تكن علي عهد النبي ﷺ أو الرعيل الأول بالصفة التي عرفها العلماء الآن ، حيث استطاع الإنسان -بما سخر الله له- أن يصل إلى السحب في السماء، ويطير فوقها، ويبحث في مكوناتها، مما حدا به أن يبحث عن طريقة للتعامل معها والاستفادة بما تحمله من خيرات تنفع البشرية .ويندرج الاستمطار تحت علم الأرصاد ودراسة الأفلاك السماوية وهو علم قائم منذ آلاف السنين ، وقد بذل علماء الأرصاد والمناخ جهوداً ملحوظة في التعامل مع السحب وقاموا بدراسات كثيرة ومتنوعة للوصول إلي حقيقتها ومحاولة الاستفادة منها ، ومن بين تلك الحقائق والمعلومات أنهم توصلوا إلى دراسة فيزيائية حركات السحب وتكوناتها ومحاولة واستدرار هذه السحب وهو ما يعرف بالاستمطار الصناعي . ومع صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وأمره تعالي بالاستزادة من العلم ، ودعوته إلي الإبداع والابتكار بما يفيد وينفع ، فإنه لا يمانع الاكتشافات والإبداعات والتجارب العلمية التي تحوي نفعاً للإنسان وسائر المخلوقات دون آية آثار سلبية . ويأتي استمطار السحب ليشكل واحدة من هذه الإبداعات والتجارب العلمية الحديثة . وقد دفعني إلي كتابة هذا البحث عدة أسباب أهمها :

١- قلة الجهود المبذولة تجاه هذا الموضوع من ناحية السنة المطهرة .

٢- تسليط الضوء علي الاستمطار الصناعي ، والكشف عن جهود العلماء فيه .

٣- بيان الحكم الشرعي في هذه المسألة ، خاصةً وأنها من المسائل المستجدة .

٤- الكشف عن موقف النبي ﷺ عند الجدب ونقص المطر .

**** الدراسات السابقة :**

تقدمت عدة دراسات حول هذا الموضوع ، نذكر منها :

١- كتاب الاستمطار ، للمهندس محمد سعيد حميد ، خبير في الأرصاد الجوية اليمنية ، وقد اكتفي بما يتعلق بالإستمطار من الناحية العلمية ، ولم يتعرض لموقف السنة ولا الشرع منه .

---

(١) سورة طه : من الآية (١١٤) .

٢- الاستمطار : د علي حسن موسي ، اكتفي فيه مؤلفه ببيان حقيقته وأنواعه وما يتعلق به من الجانب العلمي دون التعرض لموقف السنة منه .

٣- استمطار السحب حقيقته وحكمه – د خالد بن عبد الرحمن بن حمد الشايع ، وقد ذكر مؤلفه بيان حقيقته وحكمه من وجهة نظر الفقهاء دون التعرض لموقف السنة منه .

٤- حكم الاستمطار في الإسلام د. ياسين محمد الغادي ، واكتفي مؤلفه بعرض أقوال الفقهاء في المسألة دون التعرض لموقف السنة .

٥- الاستمطار أحكامه وضوابطه الشرعية ، د ملفي الشهري ، وقد اجتهد مؤلفه في ذكر أحكامه من الجانب الفقهي كما تعرض لبعض ضوابطه دون حصرها أو التركيز علي موقف السنة .

فأردت بهذا البحث أن أسلط الضوء علي بيان حقيقة الاستمطار ، وموقف السنة منه ، وكيف كان يتعامل النبي مع الجدب ونقص المطر ، وهل يتعارض الاستمطار مع السنة المطهرة أو التوكل المأمورين به .

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث علي مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة :

**** أما المقدمة فضمنتها أهمية الموضوع وأسباب اختياري له :**

**** وأما المبحث الأول : فجاء في التعريف بالاستمطار وما يتعلق به ، وفيه أحد عشر مطلباً :**

١-المطلب الأول : تعريف الاستمطار لغةً واصطلاحاً .

٢-المطلب الثاني : مسميات الاستمطار .

٣-المطلب الثالث : تاريخ الاستمطار .

٤-المطلب الرابع : العوامل المساعدة لنجاح عملية الاستمطار .

٥-المطلب الخامس : مواد الزرع " المواد المستعملة " في عملية الاستمطار .

٦-المطلب السادس : طرق الاستمطار وأنواعه .

٧-المطلب السابع : فوائد الاستمطار .

٨-المطلب الثامن : آثار الاستمطار السلبية .

٩-المطلب التاسع : تقييم تقنية الاستمطار .

١٠-المطلب العاشر : أشهر الدول التي خاضت تجربة الاستمطار .

١١- المطلب الحادي عشر : استعمال الليزر في الاستمطار .

**** المبحث الثاني : موقف السنة من الاستمطار ، وفيه ستة مطالب :**

١-المطلب الأول : تكييف الاستمطار مع السنة المطهرة .

٢-المطلب الثاني : موقف النبي ﷺ من نقص المطر .

٣-**المطلب الثالث** : موقف الصحابة من نقص المطر .

٤-**المطلب الرابع** : الشبهات المثارة حول الاستمطار الصناعي .

- **الشبهة الأولى** : أن الاستمطار تدخل في خلق الله .

- **الشبهة الثانية** : أن الاستمطار محاولة للاطلاع على الغيب .

- **الشبهة الثالثة** : أن الاستمطار يتعارض مع العقيدة الصحيحة ، حيث يطعن في التوكل المأمور به المسلم .

٥-**المطلب الخامس** : هدي النبي ﷺ إذا نزل الغيث .

٦-**المطلب السادس** : أسباب القحط وحبس المطر .

** **المبحث الثالث : موقف الفقهاء من الاستمطار ، وفيه مطلبان :**

١- **المطلب الأول** : آراء المؤيدين وأدلتهم .

٢- **المطلب الثاني** : آراء المعارضين وأدلتهم .

** **الخاتمة : وضمنتها أهم النتائج والتوصيات .**

المبحث الأول

التعريف بالاستمطار وما يتعلق به

وفيه أحد عشر مطلباً

المطلب الأول

**** تعريف الاستمطار الصناعي لغةً واصطلاحاً :**

أما تعريفه لغةً : فتدور مادة الاستمطار في اللغة حول عدة معانٍ منها :

١- أنه استفعال من المطر : **طلب المطر**[١] ، **والمَطَرُ** : بفتح الطاء الماء المُنْسَكِبُ من السَّحاب ، والمَطْرُ بسكونها : فِعْلُهُ ، والمَطْرَةُ : الواحدة ، ويوم مَطِيرٌ : ماطِرٌ ، ووادٍ مَطِيرٌ: ممطور، ومَطَرَتْنا السّماءُ تَمْطُرُهُمْ مَطَراً، وأَمطَرَتْهُمُ [السّماء] وهو أَقْبَحُهُما ، ومطَرتِ السماءُ وأَمْطَرها اللهُ وَقَدْ مُطِرْنا ، وَنَاسٌ يَقُولُونَ: مَطَرتِ السَّمَاءُ وأَمْطرتْ بِمَعْنًى ، وأَمْطرهم اللهُ مَطَراً أَو عَذَابًا ، قال ابْنُ سِيدَهْ : أَمطَرهم اللَّهُ فِي الْعَذَابِ خاصَّة كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢] ، وَقَوْلُهُ ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [٣] جَعَلَ الْحِجَارَةَ كالمَطر لِنُزُولِهَا مِنَ السَّمَاءِ . [٤] وهذا المعنى هو الأقرب إلى مادة البحث .

٢- **السكوت** ، قال الهروي : وَحكي عَن مبتكر الْكلابِي: كلّمتُ فلَانا فَأَمْطر واستمطر: إِذا أَطرقَ؛ يُقَال: مَا لَك مُسْتَمْطِراً، أَي: ساكِتاً .

٣- **طلب الخير من إنسان** : قال اللَّيْث : رجل مُسْتَمْطِر : طالبُ خيرٍ من إِنْسَان ورجلٌ مُسْتَمْطَرٌ : إِذا كَانَ مُخيلاً للخير، وَأَنْشد :

وصاحبٍ قلتُ لَهُ صالحٍ ... إِنَّك للخير لَمُسْتَمْطَرُ

٤- **البارز من الأرض المنكشف** : يُقَال: نزل فلَان بالْمُسْتَمْطِر، أَي : فِي بَراز من الأَرْض مُنْكَشف قَالَ الشَّاعِر:

وَيحِلّ أَحْيَاءٌ وَرَاء بُيُوتنا ... حَذَرَ الصّبَاح وَنَحْنُ بالْمُسْتَمْطَر

٥- وَقيل: أَرَادَ بالمستمطَر: **مَهْوَى الغارات ومُخْتَرقَها** .

٦- وَيُقَال : لَا تَسْتَمْطر للخيل ، أَي : **لَا تَعْرِض لَهَا** . [٥]

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢٨١/١) مادة " سقي " .

(٢) سورة النمل : آية (١٥٨) .

(٣) سورة هود : من الآية (٨٢) .

(٤) العين (٧/ ٤٢٥) مادة " مطر "، وانظر : تهذيب اللغة (١٣/ ٢٣١) ، لسان العرب (٥/ ١٧٨) مادة " مطر " .

(٥) تهذيب اللغة (١٣/ ٢٣٢) ، وانظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٩/ ٦٣٢٨) .

٧- **الاحتياج للمطر** : وهو أقرب إلى المعنى الأول ، يقال : مكانٌ مُسْتَمْطِرٌ قد احْتَاجَ إِلَى الْمَطَرِ وَإِن لم يُمْطَر [١] وفي مختار الصحاح : (الِاسْتِمْطَارُ) الِاسْتِسْقَاءُ[٢] ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :اسْتَمْطِرُوا مِنْ قُرَيْشٍ كُلَّ مُنْخَدِعٍأي سَلُوهُ أَن يُعْطِيَ كَالْمَطَرِ مَثَلًا . [٣]

والاسْتِسْقَاءُ : اسْتِفْعالٌ مِن السُّقْيا، أَي إِنْزال الغَيْثِ على العِبادِ والبِلادِ . [٤]

واصطلاحاً : محاولة إسقاط الأمطار من السحب الموجودة في السماء، سواء ما كان منها مدراً للأمطار بشكل طبيعي، أم لم يكن كذلك .ويمكن أن ندرج تحت هذا المفهوم أنه عملية تهدف إلى إسقاط الأمطار بشكل صناعي، بما في ذلك محاولات تشكيل السحب صناعياً، وتنمية مكوناتها . [٥]

أما الاستسقاء : فقال الجرجاني – رحمه الله تعالى -: " هو طلب المطر عند طول انقطاعه " [٦] ، أي من الله ﷻ . [٧] قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [٨] .

ويتعلق الاستمطار بالسحب ، لأنه بدونها ، فلا يكون ثم استمطار .

والسُّحُبُ : جمع سحابة والسَّحابَةُ الغَيْمُ الَّتِي يكون عَنْهَا الْمَطَر، سميت بذلك لانسحابها فِي الْهَوَاء أَو لِسَحْبِ بَعْضِهَا بَعْضًا، أَو لِسَحْبِ الرِّيَاحِ لَهَا . [٩]

وتعرف السحب علمياً بأنها : أجسام سماوية مرئية ، مؤلفة من تجمع من قطيرات مائية أو بلورات جليدية أو كليهما معاً، تسبح في الطبقة الجوية الأولى من طبقات الغلاف الجوي، وتبدو تلك الأجسام بأشكال متنوعة، وأحجام مختلفة، وألوان متباينة . [١٠]

---

(١) تهذيب اللغة (١٣/ ٢٣٢) .

(٢) صـ٢٩٥ مادة " مطر " .

(٣) لسان العرب (٥/ ١٧٨) مادة " مطر " ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٨١٨) مادة " مطر " .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٨١) مادة " سقي " ، وانظر : تاج العروس (٣٨/ ٢٩٥) ، المطلع على ألفاظ المقنع (صـ ١٣٩)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٥/ ٣١١٧) ، تحرير ألفاظ التنبيه (صـ ٨٩) .

(٥) الاستمطار ، د/علي موسى صـ ٥٨ .

(٦) التعريفات ، للجرجاني، فصل السين صـ٣٩ .

(٧) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ١٥٣) ، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٤٨) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٥/ ٣١٣٠) ، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٠٨١) مادة " سقي " ، القاموس الفقهي (صـ ١٧٥) .

(٨) سورة البقرة : من الآية (٦٠) .

(٩) المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٢٠٩) مادة " سحب "، لسان العرب (٤٦١/١) مادة " سحب " ، تاج العروس (٣ ٤٣) مادة " سحب ".

(١٠) الاستمطار، د/علي موسى ص ٩ .(٣) الاستمطار ص ٦.

**** مفهوم الاستمطار الصناعي من الناحية العلمية :**

يعرف الاستمطار الصناعي من الناحية العلمية بأنه تدخل بشري تقني محدود لتلقيح أو زرع السحاب بمواد التكثف الطبيعية أو الكيميائية، وهو تقنية وهبها الله تعالى للإنسان بالعلم والتعلم،قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1] وذلك من أجل السعي لتعديل الظروف المناخية بشكل محدود وترويضها لخدمته(إن استطاع)قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2]

ومصطلح زراعة أو بذر السحب **Cloud seeding** "يقصد به نثر قطع من مادة صلبة في محلول فوق مشبع ببخار الماء ليدفع ذلك إلى هطول المحلول، أو نثرها في محلول فوق مبرد لتتسبب في تجمده، وهذا هو مبدأ الكيمياء الفيزيائية للبذر، هذه المواد الصلبة أو ما يعرف باسم نويات التكاثف أو التجمد ، هي ما يطلق عليه أيضاً اسم محرضات السحب على الهطول ، ووظيفتها استقطاب جزيئات بخار الماء لتتجمع وتتراكم عليها ، وكلما ازدادت كمية هذه النويات في السحابة إلى حدود معينة أدى ذلك إلى تشجيع نمو مكونات السحابة وحدوث الهطول وتعاظم كميته" .[3]

وقيل : **الاستِمْطار** : عملية إسقاط المطر من السحب بطريقة علمية يحته تُجْرَى على السحب المتكوِّنة في الجو .[4]

ويمكن أن ندرج تحت هذا المفهوم أية عملية تهدف إلى إسقاط الأمطار بشكل صناعي، بما في ذلك محاولات تشكيل السحب صناعياً ، وتنمية مكوناتها .[5]

ويقصد بالاستمطار أحد أمرين :

١- تسريع هطول الأمطار من سحب معينة، فوق مناطق بحاجة إليها، بدلاً من ذهابها إلى مناطق لا حاجة بها إلى الماء، لظروفها الطبيعية الملائمة للإدرار الطبيعي .

٢- زيادة إدرار السحابة عما يمكن أن تدره بشكل طبيعي .[6]

---

(١) سورة النساء : من الآية (١١٣) .(٣) الاستمطار ص ٦.

(٢) سورة البقرة : من الآية (٢٩) .(٣) الاستمطار ص ٦.

(٣) تقنية الاستمطار د عبد الله المسند صـــ٤ ، http://www.almisnid.com ، وانظر :

Malkus, JS, and R.H., Simpson, 1964: Modification experiments on tropical cumulus clouds. Science, 145, 541-548.

(٤) المرجع السابق .

(٥) الاستمطار، د/علي موسى ص ٥٨ .(٣) الاستمطار ص ٦.

(٦) الموسوعة العربية العالمية .

المطلب الثاني

مسميات الاستمطار

الاستمطار أحد فروع ما يسمى تعديلات الطقس **Weather modification** وله عدة مسميات أخري منها :

١- استحلاب السحب .

٢- زراعة الغيوم .

٣- بذر الغيوم **Cloud seeding** .

٤- اصطياد السحب والمطر .

٥- تلقيح السحب .

٦- حقن السحب .

٧- وكذلك يطلق عليها صناعة المطر **rainmaking** ، لكن هذه التسمية تتعارض مع العقيدة الصحيحة ، لأن الصانع والمنشئ للسحب هو الله سبحانه وتعالي لا غيره ، قال د عبد الله المسند : وهذا مصطلح منكر مضلل .[١]

٨- تطعيم السحب .[٢]

٩- هندسة الطقس أو المناخ .[٣]

المطلب الثالث

تاريخ الاستمطار

بدأت عمليات الاستمطار أولاً بعقد عدة مؤتمرات عالمية في الفترة ما بين أعوام ١٨٩٩-١٩٠٢م لبحث التأثير على الغيوم العمودية التكوين ومكافحة البرد .

وأنشئت جهات مختصة لمتابعة هذا الموضوع في كلٍ من فرنسا وسويسرا وأجريت تجارب عديدة للتأثير على الغيوم باستخدام قذائف المدفعية .

حيث تمكن (**فيرات**) من نيوزيلندا في عام ١٩٣١م ، ولأول مرة من إثارة المطر صناعياً عندما قذف حبيبات ثاني أكسيد الكربون الصلب في الجزء المحتوي على مياه فوق مبردة من الغيوم بواسطة الطائرة .

وفي نوفمبر ١٩٤٦م تمت واحدة من أوائل التجارب العلمية في التأثير على السحب العالية البرودة من قبل العالم سكيفر (**Schaefer**) ، عبر إيلاج أكاسيد كربونية صلبة بواسطة المختبر بالطائرة

---

(١) تقنية الاستمطار د عبد الله المسند صـــ٤ ، http://www.almisnid.com .

(٢) الموسوعة العربية العالمية .

(٣) أرشيف منتدى الألوكة صـــ٢ .

العمودية التابع للقوات الجوية الأمريكية في طبقة السحب الركامية المنخفضة التي غيرت حالة تطورها مما أدى إلى سقوط المطر . [1]وفي الفترة ما بين عام ١٩٥٠-١٩٦٠ م بدأت تجارب استمطار السحب والحث على تحويل تكوينات الضباب إلى سحب في بريطانيا ، و لم تكن تلك التجارب حاسمة للاستفادة منها، نظراً لضعف التقنيات والرادارات وقلة المعلومات المتوفرة من الأقمار الاصطناعية في ذلك الوقت .

وكانت أكبر تلك التجارب والدراسات في عام ١٩٥٣ م حيث قامت بها جامعة لندن من مطار كرانفيلد(Cranfield) [2]ثم توالي الاهتمام باستمطار السحب، فظهرت أكثر من طريقة لمحاولة إنجاحه . منها : رش السحب الركامية المارة برذاذ الماء، بواسطة الطائرات ، للمساعدة على تشبع الهواء، وسرعة تكثف بخار الماء، لإسقاط المطر ، إلا أن هذه الطريقة تحتاج إلى كميات كبيرة من الماء . ومنها : رش السحب المارة ببلورات من الثلج الجاف، المكون من ثاني أكسيد الكربون المتجمد، للمساعدة على تكثف قطرات البخار ، وكذا رش مسحوق يوديد الفضة، بواسطة الطائرات، للعمل كنويات صلبة، لتجميع جزيئات بخار الماء، وتكثيفها حوله، وسقوطها على هيئة أمطار. وتم استعمال طائرة مزودة بأجهزة خاصة ، ومصممة لوضع المواد الأساسية للاستمطار، وبعضها على شكل جهاز شبيه بمطلق الألعاب النارية وبعضها الآخر على شكل قمع يتسع تدريجياً نحو الخارج ويتوهج وينفجر فجأة عند الاستعمال . [3]

المطلب الرابع

العوامل المساعدة لنجاح عملية الاستمطار

هناك عدة عوامل أساسية في نجاح عملية الاستمطار ، أولها : صحة التوكل علي الله واعتقاد أنه سبحانه هو الوحيد القادر علي إنزال المطر وإذا لم يرد فلن يترل المطر وإن استنفذ الإنسان كل طاقته ووسعه ، وأحصي كل أسباب الاستمطار .

ثاني هذه العوامل : ما يتعلق بطبيعة الجو والمناخ ، مع توافر السحب المهيأة لتنفيذ هذه العملية .

ثالثها : وهو ما يتعلق بمواد الزرع " المواد المستخدمة ".

رابعها : كادر فني، لتنفيذ عملية الاستمطار .

خامسها : معدات وأجهزة :

- كطائرات ذات مواصفات خاصة : تتمكن من التحليق أعلي قمم السحاب، وأن تكون مجهزة بوسائل إطلاق مواد الزرع، ونظام جمع وتحليل المعلومات ، التي يتم جمعها من أجهزة القياس المركبة على طائرات الاستمطاز، ومحطات رادار الطقس .

---

(١) وانظر : تقنية الاستمطار د عبد الله المسند صـ٤.

(٢) (http://www.cranfieldairport.com)

(٣) http://www.startimes.com/f.aspx?t=11681529 .

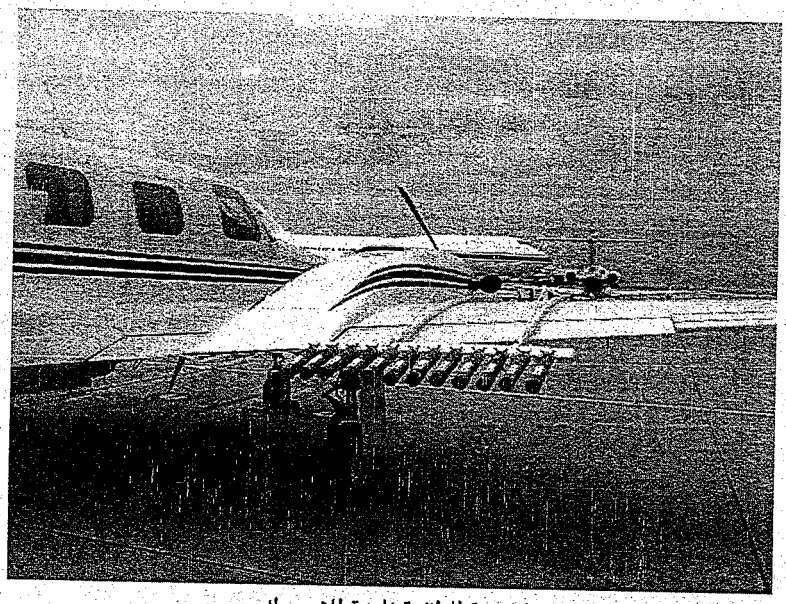

صورة للطائرة المعدة للاستمطار

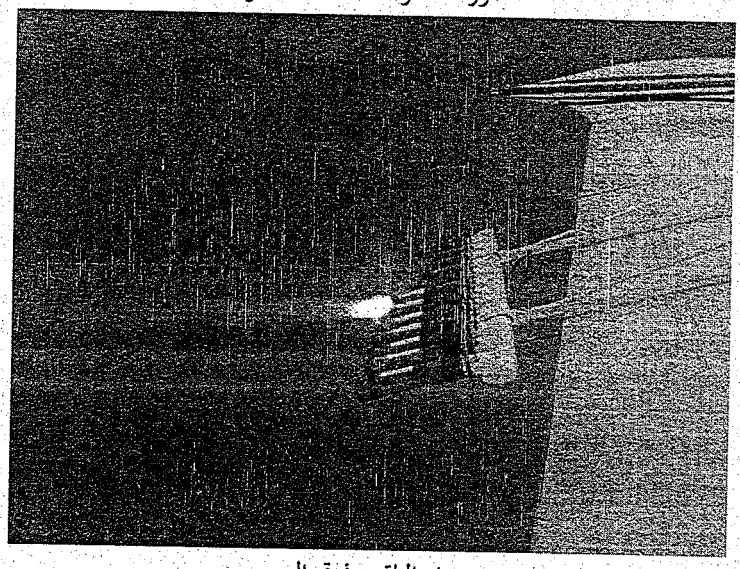

نثر مواد التلقيح فوق السحب

– إقامة محطات لمراقبة السحب، وحركتها ومواصفاتها .

– رادارات طقس، لمراقبة السحب، وتحديد خواصها، ومحتواها المائي .

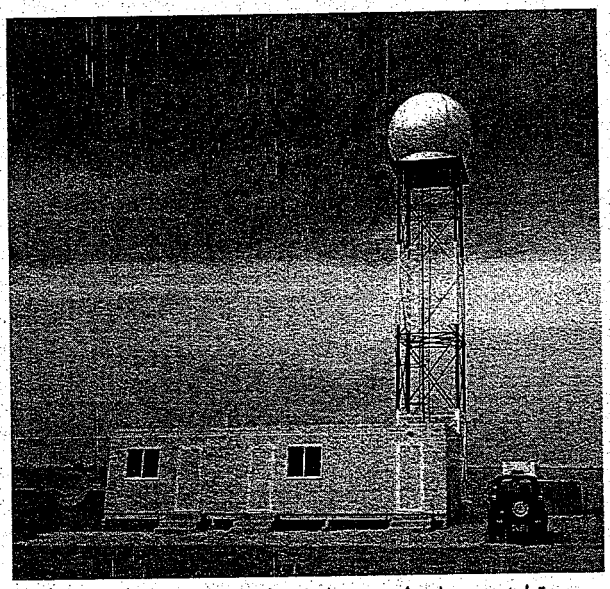

صورة لرادار دوبلر المخصص لمراقبة السحب المستهدفة للاستمطار

– وسائل اتصال لاسلكي بين مركز القيادة، وطائرات الاستمطار، ومحطات رادار الطقس .

المطلب الخامس

مواد الزرع

" المواد المستعملة " في عملية الاستمطار

بدأت عمليات الاستمطار باستعمال المواد الطبيعية ، كالماء الطبيعي الذي يرش علي السحب ، لكن استعماله فيه صعوبة لأسباب نقله ، ولأن الاستمطار يحتاج إلي كميات كبيرة ، مع العلم أن الاستمطار إنما هو لإنزال الماء لقلة وفرته ، لا لرش السحب به .ونظراً لصعوبة توافر المياه ، فقد بحث العلماء عن بديل يمكن الاستفادة منه في الاستمطار ، فلجأوا إلي مواد صناعية كيميائية ، كمادة أيوديد الفضة، مضافة إليها مادة بير كلورايت البوتاسيوم مع بعض المركبات، ويتم إطلاقها نحو السحب الركامية الحاملة لكميات كبيرة من البخار، وذلك كي تستحث السحب على النمو وعمل كمية كبيرة من الأمطار .وعندما تنطلق تلك المواد والمركبات من الطائرة، فإنها تنتشر بسرعة كالألعاب النارية ، ولوجود الرياح المصاحبة للسحب، فإن الرياح – بإذن الله – تقوم بتوزيع تلك المواد على مساحة كبيرة وبسرعة، بحيث تشمل السحابة ككل، لتربط تلك السحابة بتيارات متجانسة ومتلاطمة في دائرة السحابة، إما نفاثة أو تصاعدية لولبية .تلك المواد المكونة من يوديد الفضة، ومادة بيركلورايت البوتاسيوم بالإضافة إلي بعض المركبات الأخري ، تكوّن ذرات دقيقة، تقوم مقام ذرات الغبار ، بحيث إن بخار الماء الكثيف في السحابة، يبدأ – بإذن الله – يتكاثف حول تلك الذرات، مكوناً بلورات ثلجية

لانخفاض درجة الحرارة، وتكبر شيئاً فشيئاً ، بإذن الله ، حتى يأمرها الله تعالى بالسقوط في المكان الذي يشاؤه سبحانه وتعالى.[1] وقد ذكر المختصون أن آلية تشكل ونمو السحب الدافئة تختلف عن آلية تشكل ونمو السحب الباردة، لذلك فإن هناك اختلافاً في مواد البذر المستخدمة لإدرار حمولة السحابة من مكوناتها ، وتستند تقنية الاستمطار إلى التفريق بين السحب الباردة والسحب الدافئة ، فلكل نوع طريقة ومسار على النحو التالي :

أولاً : في حالة السحب الباردة تستخدم مادتان ، الأولى حبيبات ثاني أكسيد الكربون الجاف (الثلج الجاف) Dry ice ، والثانية أيود (أوديد) الفضة Silver iodide ، وهو أفضل المواد الكيميائية في تلقيح السحب الباردة وهو المستخدم في المشروع السعودي للاستمطار ، "ويكفي جرام واحد من يوديد الفضة لصناعة عشرة مليارات جزيء بقطر معدله أقل من ميكرومتر (مايكرون يساوي واحد بالألف من الملم) وحول هذا الجزيء تتجمد المياه بسرعة لتتساقط بلورات الجليد الصغيرة ، وفي طريقها إلى الأسفل تجرف معها قطرات دقيقة إضافية وتتحول إلى كرة ثلج بقطر ١-٢ ملم تصبح قطرات مطر عند اصطدامها بطبقات جوية أكثر سخونة " .

ثانياً : في حالة السحب الدافئة يستخدم ملح الطعام ليشكل نويات تتكاثف حولها قطرات الماء ، عن طريق نثر دقائق الملح في الهواء المتصاعد إلى جرم السحابة .[2]

المطلب السادس

طرق الاستمطار وأنواعه

هناك عدة طرق استعملها العلماء في استمطار السحب ، أشهرها :

١ – رش السحب الركامية المحملة ببخار الماء الكثيف، بواسطة الطائرات برذاذ الماء ؛ ليعمل على زيادة تشبع الهواء، وسرعة تكثف بخار الماء لإسقاط المطر، لكن هذه الطريقة تحتاج إلى كميات كبيرة من الماء مما يؤدي إلى صعوبة تنفيذها .

٢ – قذف بلورات من الثلج الجاف (ثاني أكسيد الكربون المتجمد) بواسطة الطائرات فوق السحب؛ لتؤدي إلى خفض درجة حرارة الهواء، وتكون بلورات من الجليد عند درجة حرارة منخفضة جداً، لتعمل على التحام قطرات الماء الموجودة في السحب وسقوطها كما في حالة المطر الطبيعي .

٣ – رش السحب بمسحوق يوديد الفضة بواسطة الطائرات، أو قذفه في تيارات هوائية صاعدة لمناطق وجود السحب ، ويكون ذلك باستخدام أجهزة خاصة لنفث الهواء بقوة كافية إلى أعلى ، ويعد يوديد الفضة من أجود نويات التكاثف الصلبة التي تعمل على تجميع جزيئات الماء، وإسقاطها أمطاراً

---

(١) http://www.alfredah.net/forum/threads/alfredah17677/.

(٢) الموسوعة العربية العالمية .

غزيرة على الأرض ، لكن هذه العملية مكلفة جداً إضافةً إلي قلة مادة يوديد الفضة . [1]ويعتبر استخدام الطائرات الأسلوب الأكثر فعالية ، ويذكر العلماء المختصون أنه يمكن استخدام صواريخ أرض جو يتم ضبطها والتحكم بها آلياً من على سطح الأرض، وقد قام العلماء الروس بتطوير صواريخ خاصة بذلك وقنابل محملة بمواد البذر التي تدفع بسرعة إلى السحب، كما يمكن استخدام رشاشات أرضية، ومحطات يتم فيها حرق المواد التي تتصاعد نحو السحابة المراد استمطارها . [2]

هذا ويحتاج نثر الغيوم بأنوية انجماد صناعية (كأيوديد الفضة) إلي عدة عوامل تم اختبارها والتأكد من سلامتها وهي :

أ — وجود ماء درجة حرارته تحت الانجماد داخل الغيمة ، أو توفر قطرات ماء تبقى في حالة السيولة على درجات حرارة دون الصفر المئوي في الغيوم .

ب — أن يكون ضغط بخار الماء فوق الثلج أقل منه فوق الماء تحت الانجماد، وهكذا تتمكن بلورات الثلج من النمو في الحجم على حساب قطرات الماء بتبخر الأخيرة وترسبها على الأولى، وعليه يمكن أن تنمو بلورة الثلج على حساب عدد من قطرات الماء .

ج — طريقتا التصادم والتجميع ، وطريقة (برجون — فندايزن) مسؤولتان عن تكون أنواع الهطول المختلفة في مناطق خطوط العرض المتوسطة كالأردن مثلاً. [3]

د — توفر أنوية انجماد صناعية لنثرها في الغيوم بتكاليف معقولة، وفي حالة استخدام أنوية يوديد الفضة كأنوية انجماد صناعية فإن ذلك يتم في الغيوم التي تتراوح درجة حرارة قمتها ما بين °١٢م و °٢٠م .وقد اختيرت النهاية الصغرى وهي °٢١م ، لأن درجة الحرارة التي تبدأ عندها انتشار ذرات يوديد الفضة لتعمل كأنوية انجماد هي -°٥م، وتحتاج — هنا — إلى عمق كاف من الغيوم فوق مستوى درجة حرارة انتشاره، ليسمح لبلورات الثلج بأن تنمو إلى الحجم المناسب لسقوطها كالهطول .أما النهاية العظمى وهي -°٢٠ فقد اختيرت لأن عدد بلورات الثلج التي تتوفر في الغيوم بشكل طبيعي عند

---

(١) تلوث البيئة د/ شفيق يونس ص ٣١، مجلة العلوم والتقنية العدد الثاني عشر ص١٨ ، تقنية الاستمطار د عبد الله المسند صـ٤ ، عضو هيئة التدريس بقسم الجغرافيا بجامعة القصيم — السعودية .

(٢) انظر كتاب : الاستمطار٩٤ -١١٣.

(٣) طريقة التصادم والتجمع.Collision and Coalescence وطريقة بيرجرون، فندايزن (سويدين) Bergeron and Findeisn. : طريقتان لتكوُّن قطرات المطر في الغيوم حتى يسقط ، أما الطريقة الأولى فتعتمد على تصادم القطيرات لتكوين قطرة ماء أكبر، أما الثانية فتعتمد على تحول ماء القطيرات الصغيرة المتعددة إلى عدد أصغر من بلورات الثلج، ولكنها أكبر في الحجم، وذلك بأن يتبخر الماء ثم يترسب على أنوية الانجماد المتوافرة في الغيوم، وحين تكبر بلورات الثلج إلى حجم قادر على التغلب على حركات الهواء الصاعد ، تكتسب سرعة سقوط مناسبة وتستمر في النمو أثناء سقوطها عن طريق تجميع قطرات لغيوم التي تصادفها أثناء سقوطها إلى أسفل (الاستمطار في الإسلام د ياسين محمد الغادي http://www.almoslim.net/node/84368).

هذه الدرجة أو أقل منها يكون كافياً لإحداث الهطول — وبكفاءة — دون مساعدة خارجية، كذلك فإن حدوث الانجماد على مقدم الطائرة أو على الجناحين أو على الزجاج الأمامي لها خلال طيرانها داخل الغيوم يعتبر مؤشراً لوجود قطرات الماء تحت الانجماد في الغيمة وبوفرة مناسبة لبدء عملية نثر الغيم الجوي .(١)

٤- الرمي من الأرض بواسطة مدافع كبيرة وقوية جداً ، إما بالمواد المذكورة أو بغيرها مما يتاح من التقدم التقني .

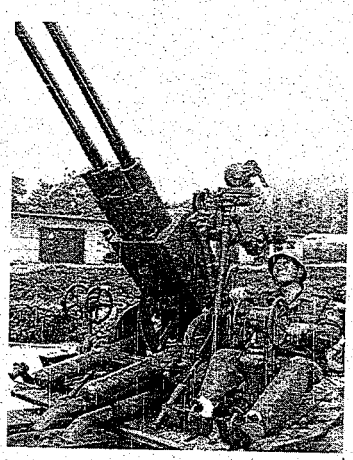

استخدام المدفعية المضادة للطائرات لإطلاق مواد التلقيح إلى مستوى السحب

المطلب السابع

فوائد الاستمطار

ذكر العلماء أنه عند نجاح الاستمطار ، فإنه ينتج عنه عدة فوائد منها :

١- مضاعفة كمية المطر بشكل نسبي .

٢- أنه يساعد نسبياً على الحد من الجفاف .

٣- زيادة الجريان السطحي .

٤- أنه يساعد علي زيادة المخزون المائي في السدود .

---

(١) الاستمطار في الإسلام د ياسين محمد الغادي ، وراجع المواقع الآتيـــة : See Gagin, A., Neumann, The Second Israeli Randomized Cloud seeding experiment, Evaluation of See Hill, / Rusults, Journal of Applied Meteorology, 21, 1981, p.1301-1311. Et., Analysis of precipitation Augmentation Potential in Winter Orographic clouds Use of A/C Icing reports, Journal of Applied Meteorology 21,1982, p. 165-170.

٥- يساعد علي تغذية الخزانات المائية الجوفية .

٦- يعمل علي تحسّين الميزانية المائية .

٧- يساعد علي مكافحة التصحر والجفاف .

٨- تستخدم تقنية الاستمطار في بعض دول العالم من أجل كبح جماح الأعاصير والتقليل من حدة موجات البرد والصقيع وأحياناً من أجل إطفاء حرائق الغابات الكبرى .[١]

٩- زيادة التعمق في دراسة فيزياء الغموم وطبيعة تشكيلاتها،وأيهاأكثر فائدة لنثر المحاليل فيها.[٢]

١٠- ويساعد أيضاً علي منع سقوط الأمطار الغزيرة في المناطق الزراعية خوفاً من تلف المحاصيل ، بمحاولة إنزال هذه الأمطار في أماكن أخري جافة إذا نجحت .[٣]

المطلب الثامن

آثار الاستمطار السلبية

مع الفوائد المتعددة السابقة للاستمطار إلاّ أن هذه العملية لا تخلو من مضار نبه عليها المتخصصون ، وتكثر وجود هذه المشاكل والأضرار في حالة الاستخدام السيء لهذه التقنية ، ومن مضارها :

١- تكلفة العوامل لإنجاحه عالية وغير اقتصادية ، ولهذا يرجع علماء البيئة السبب في عدم التقدم في مجال الاستمطار إلى الأسباب الاقتصادية والسياسية .[٤]

٢- أن التكنولوجيا في هذا المجال ما زالت غير متطورة تماماً ، وهذا مما يجعل النتائج غير مضمونة التحقق ، ودرء السلبيات غير مؤكد .

٣- الصعوبات في تقييم النتائج ، حيث يتطلب جمع المعلومات الموثوق بها في هذا المجال وقتاً طويلاً ، (خمس سنوات على الأقل) .

٤- أن تلك العمليات تعتمد على الأحوال الجوية، وتتوقف فيها النتائج على ما يمكن أن يكون في الجو من ظروف وتغيرات .

٥- المشكلات السياسية (الحقيقية والتخمينية) فبعض البلدان قد تتطلب المطر أكثر من غيرها، وقد تتهم بعض الدول التي تجري مثل هذه العمليات باختلاس الموارد الطبيعية من الرطوبة الجوية وغيرها .[٥]

٦- تري المنظمات العالمية أن المواد المستخدمة في بذر السحب مواد سامة بحسب تصنيفها ، ومنها مكتب البيئة والصحة والسلامة بجامعة بيركلي، كاليفورنيا بالولايات المتحدة حيث صنف مادة يوديد الفضة

---

(١) تقنية الاستمطار د عبد الله المسند صـــ٤ . http://www.almisnid.com

(٢) الاستمطار في الإسلام صـــ٨ ، بحث للدكتور ياسين الغادي في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت سنة ١٤٢٣ هـــ نقلا عن:

Gagin,A.,Neumann,The second Israeli Randomized cloud seeding experiment. Evaluation of Rustts, Journal of Applied Meteorology, 21, 1981, p. 1301- 1311..

(٣) الموسوعة العلمية العالمية ، وانظر : http://islamqa.info/ar/ref/119296

(٤) تلوث البيئة د/ شفيق يونس ٣٢.

(٥) المرجع السابق ص٣٢، ٣٣.

المستعملة في الاستمطار بأنها مادة كيماوية غير عضوية خطرة، لا تذوب في الماء، وسامة للإنسان والأسماك ، وتفهرس أيضاً وكالة حماية البيئة الأمريكية مادة يوديد الفضة ضمن المواد الخطرة والسامة .

٧- كما كشفت بعض الدراسات لبعض المنظمات البيئية أن استخدام مادة يوديد الفضة في الاستمطار يمكن أن يؤدي إلى عجز مؤقت أو إيذاء محتمل للبشر والثدييات، قد يكون حاداً ومستمراً، ولكن ليس مزمناً، إلا أن تلك الدراسات توصلت إلى أن نصف كمية الفضة المتولّدة عن عملية الاستمطار تنقص بمقدار ١٠٠ مرة عن الضرر الحاصل في الجو الناجم عن الإشعاعات الصناعية في أجزاء متعددة من العالم، أو عن الضرر الشخصي الناتج عن التعرّض للإشعاعات الناجمة عن حشو الأسنان بالفضة، مثلاً.أما من حيث تأثير تراكمات تلك المواد على التربة والنباتات، فقد أكد التقييم البيئي الذي أجري على صحراء «نيفادا» في كاليفورنيا عام ١٩٩٥، وتقرير لجنة خبراء مستقلة في أستراليا عام ٢٠٠٤ م ، أن تأثير تلك التراكمات على التربة والنباتات ليس كبيراً .وضربوا علي ذلك أمثلة من خلال عدة تجارب منها :

- أن الاستمطار الذي تمّ فوق «حديقة كوسكيوزكو الوطنية» الأسترالية، والذي دُعي بـ «المحيط الجوي الاحتياطي» أدّى إلى عدة تعديلات سريعة في التشريع البيئي؛ بل قاد إلى محاكمة صانعيه (قضائياً) .

- أن اختصاصيي البيئة قلقون حول تأثير امتصاص عنصر الفضة في بيئة حساسة جداً على حيوان «أبو سوم» القزمي من بين الفصائل الأخرى، في حين أن التأثير كان كبيراً على الزهور في البحيرات الجليدية . لكن تبددت هذه المخاوف علي حيوان أبي سوم حينما خلُصَ برنامج «ABC» الذي أُقيم عام ٢٠٠٤م ، إلى أنه لم يمتلئ كامل الغيمة المستمطرة بالفضة ، مما أدّى إلى زوال القلق بشأن حيوان «أبي سوم» القزمي . وبقيت المخاوف من استعمال مادة يوديد الفضة علي البيئة ، وفي مجلة العربي العلمي : " أدّى البحث الذي تمّ قبل ٥٠ سنة ، والتحليل الذي قامت به «إدارة الجبال الثلجية» إلى إيقاف عمليات استمطار السحب خلال الخمسينيات .

ومنذ استعمال مادة يوديد الفضة ، كمادة من مواد الاستمطار، فإن التأثير السلبي على البيئة لا يزال موضع نقاش من خلال مطالبة «جمعية تعديل الطقس الدولية» بإعادة النظر باستخدامه". (١)

---

(١) مجلة العربي العلمي العدد ٦٤٧ – الكويت ، وانظر بتوسع :
http://3arabimag.com/Article.asp?Art=213&ID=18

وقد أعلن أكاديميون تخوفهم وتحفظهم من استخدام "أيود الفضة" في الاستمطار الصناعي ، والإسراف في عمليات الاستمطار باعتبارها في إطار المختبرات والتجارب العلمية. فقد رأى رئيس جمعية البيئة بالمملكة العربية السعودية الدكتور إبراهيم عالم أن رش مسحوق يوديد الفضة خطر على البيئة حيث إن مادة الفضة من المعادن الثقيلة ذات التأثير السلبي على جسم الإنسان إذا زادت عن المعدل المطلوب، وقالت عضوة هيئة التدريس بقسم الكيمياء في جامعة الملك فيصل بالدمام الدكتورة مريم القوفي إن مستوى تأثير مادة أيود الفضة في البيئة والإنسان يختلف حسب الكميات المستخدمة في الاستمطار، لافتة إلى أنه لم تصدر حالياً أي دراسات حدية تحدد الضرر الذي يتسبب فيه الاستمطار بطريقة أيود الفضة.وأوضح محكم المشروعات في وحدة العلوم والتقنية بجامعة الملك سعود بالرياض الدكتور رضا اليوسف أن الاستمطار بأيود الفضة وهو عنصر من عناصر الهيلوجينات يشكل ضرراً على النباتات أو الأحياء الموجودة بالتربة كاليكتيريا والطحالب انظر [http://forum.stop55.com/116181.html] .

المطلب التاسع

تقييم تقنية الاستمطار

هناك تساؤل عند نجاح عملية الاستمطار ، هل فعلاً ما يهطل من أمطار هو نتيجة عملية الاستمطار ذاتها ، أم أنها قد تكون أمطار طبيعة ؟ وكيف نفرق بين المطر الطبيعي والمطر بواسطة تقنية الاستمطار ؟ فإن كان الجواب مطراً طبيعياً ، فما الجدوى المائية المترتبة على عملية الاستمطار ؟

وللإجابة : أولاً عندما تقوم الطائرات بالتحليق فوق السحب وبذر الغيوم ومن ثم تسقط الأمطار؛ فإنه لا يستطيع أحد إبتداءً الجزم أن الأمطار التي تمطل هنا أو هناك هي بفعل الاستمطار؛ وعلمياً يتطلب الجواب على هذا السؤال تكرار عملية الاستمطار في منطقة مختارة بضع سنوات ، وقياس المطر (الكمية والشدة والنمط) في المنطقة المستهدفة في كل موسم وبكل دقة، ومن ثَم إخضاع النتائج إلى عمليات إحصائية علمية متقدمة تتضمن مقارنة النتائج بنتائج سنوات قبلها، وأيضاً مقارنة النتائج نفسها بنتائج مناطق مجاورة ومماثلة لها جغرافياً ومناخياً ، ومن خلال هذه المقاييس يمكن أن نحصل علي إجابة لهذا السؤال ، لكنها تكون إجابة غير جازمة أيضاً ، والله أعلم .كما أكدت التجارب العالمية التي أجريت حتى الآن أن نسبة نجاح عمليات الاستمطار تتراوح بين ٥-٢٠% زيادة في الهَطَلانُ [١] في مساحات كبيرة ولفترات زمنية طويلة ، ومن الغيوم الركامية قد تصل ١٠٠% ولكنها تقل بالنسبة للسحب الطبقية وممكن أن تصل إلى ٣٠٠% من غيوم محددة ، ومع ذلك تختلف الظروف المكانية وبالتالي نسبة المطر . [٢]

المطلب العاشر

الدول التي خاضت تجربة الاستمطار

منذ نشأ الاهتمام باستمطار السحب ، فقد أجريت هذه التجارب في العديد من دول العالم من بينها ، ألمانيا ، بريطانيا ، أمريكا ، جنوب أفريقيا ، استراليا ، الهند ، سوريا ، إيران ، تركيا ، الأردن ، المكسيك ، الارجنتين ، تايلند ، الإمارات العربية ، سلطنة عمان ، اليمن ، مصر ، المغرب .وبدأ الاهتمام في المملكة العربية السعودية بهذه الدراسات منذ وقت مبكر وذلك قبل عقدين حيث تمت أولى تلك التجارب في عام ١٩٨٨ م .وكان لروسيا والصين دراسات وتجارب متقدمة ، كما قامت كل من روسيا وإسرائيل بإعداد العديد من التجارب والدراسات في العام ١٩٩٠ م [٣] وما زالت الدراسات والتجارب مستمرة لم تتوقف بعد .

---

(١) الهَطَلانُ : تتابُع القَطْر المُتَفَرِّق العظام ، العين (٤/ ٢١) مادة " هطل " ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٨٥٠) مادة " هطل " .

(٢) تقنية الاستمطار د عبد الله المسند صـــ٤ .

(٣) الإستمطار – تقنية حث السحب الممطرة على إنزال المطر في أماكن محددة :

http://www.wasse3.com/2011/04/cloud-seeding/ .

http://www.weathermod.com/aircraft_modification.php

المطلب الحادي عشر

استعمال الليزر في الاستمطار

من المحاولات التي اكتشفها العلماء مؤخراً في الوصول إلى الماء ، استعمال أشعة الليزر ، ففي عام ٢٠١٠ م نشر بحث علمي في مجلة (**Nature Communications**) بيَّن أنه بالإمكان تكون جسيمات ماء باستخدام الليزرات ، لكن تبين أن جسيمات الماء المكونة عبر الليزر كانت أصغر بحوالي ١٠٠ مرة من قطرات المطر الطبيعية ، ومع صغر هذه الجسيمات إلا أنها تعد إثبات لنجاح التجربة مبدئياً ، وفي بحث علمي حديث نشر في مجلة (**Journal of Physics D: Applied Physics**) وضح أن استعمال الليزر في الاستمطار في تحسن .

وتكمن فكرة استعمال الليزر في الاستمطار في النتائج التي أظهرتها الدراسات العلمية ، من أنّ النبضات القوية فائقة السرعة الناتجة عن شعاع ليزري ، يمكنها توليد قطرات ماء من الهواء، وأنّه إذا توافرت الظروف المناسبة يمكن استخدام هذه التقنية في إنتاج المطر "الماء من الهواء" عند الحاجة، وهي عملية أكثر تطوّراً من استمطار الغيوم .

ولهذا فقد أفردت هذه العملية بمطلب مستقل .

وقد كشف العلماء المختصون أن المطر يتكون عادةً عندما يتكثف الماء حول الدقائق الصغيرة العالقة في الجو، وفي أغلب الأحيان يؤدي الغبار أو حبوب الطلع هذه المهمة ، وقد يحاول الإنسان التعجيل بحدوث تلك العملية من خلال (بذر) الغيوم بمواد كيميائية معيّنة تنثر فيها، مثل مادة "يوداید الفضة" التي توفر ما يسمى بـ"نوى التكثف " وتحفز على تجمع حبيبات الماء وتحولها إلى قطرات مطر.

ولأنّ هذه الأساليب صعبة التنفيذ، ومن الممكن أن تكون ذات نتائج سلبية على البيئة، كما يقول (**جيروم كاسباريان**) المتخصص بالفيزياء البصرية في جامعة جنيف، فإنه يقوم بتطوير جهاز التكثف المحفز ليزرياً ، وتكمن فائدة أشعة الليزر في قدرتها على العمل بشكل مستمر، وأنّه إذا تمكنت أجهزتها من تحفيز المطر على نطاق واسع ، ستكون أكثر كفاءةً وأقل تكلفةً من نثر مادة "يوداید الفضة باستخدام الطائرات أو إطلاقها إلى السماء بواسطة الصواريخ ."

ومن أجل اختبار هذه الفكرة استخدم الباحثون أوّلاً حجرة غيوم جوية، وهو صندوق يمكّنهم من التلاعب بدرجات الحرارة ونسب الرطوبة ، وبعد إشباع الهواء الموجود في الحجرة بالرطوبة أطلق الفريق إشعاعات ليزر بقوة عدة تريليونات واط ، ثمّ راحوا يراقبون بدهشة تكوّن قطرات صغيرة من الماء بالإمكان رؤيتها ، وبعد مرور ثلاث ثوان على إطلاق نبضات الليزر تنامى حجم قطرات الماء ليصل إلى قطر ٨٠ مايكروميتراً ، وهذا أصغر من حجم قطرات المطر المعتادة؛ ولكنّه أكبر مما كان متوقعاً، وقال (**كاسباريان**) : الشيء الذي أثار دهشةً شديدةً هو حقيقة أنّ الغيمة كانت مرئية تماماً بالعين المجرّدة، لذلك كان التأثير الذي أحدثته قوياً .

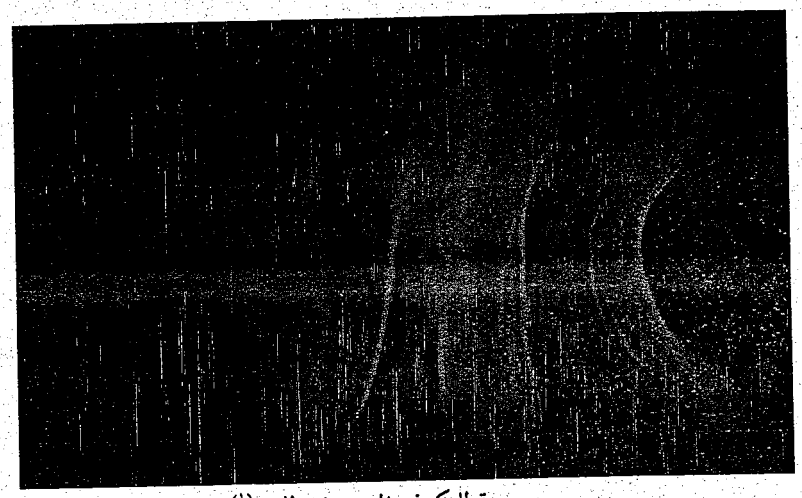

صورة للتكثيف المستحث بالليزر[1]

وبعد تلك التجربة تم إخراج جهاز الليزر إلى الطبيعة ، وباستعمال شعاع أضعف قوة لمراقبة تكون الضباب في الهواء أطلق الفريق مقداراً من الليزر شدته عدة تريليونات واط في سماء برلين في خريف ٢٠٠٨م ، ومرّة أخرى لاحظ الفريق ظهور دليل مشجع، وهو حبيبات ماء صغيرة تندمج ببعضها في الجو، وهذا يعني وفق (كاسباريان) أنّ أشعة الليزر بإمكانها تحفيز تكون حبيبات الماء البالغة الصغر داخل حجرة الغيوم، وأن بإمكانها أيضاً تحفيز ذلك في الأجواء الطبيعية .

صورة توضح استعمال الليزر في الاستمطار[2]

(١) http://www.popsci.com/science/article/2012-07/better-lasers-may-be-used-effectively-create-rain

(٢) ينظر :

See more at: http://www.el-balad.com/918082#sthash.77LXi511.HFlxOWMh.dpuf

لكن يبقي التحدي في إيجاد الظروف التي تشجع حبيبات الماء الصغيرة بالنمو أكثر حتى تصل إلى الحجم الذي يجعلها تتساقط على هيئة مطر، ويبقى تكوين قطرات ماء بالحجم المطلوب هو التحدي الفعلي في صناعة المطر، كما يقول (**رويلوف برونتيس**) الباحث في المركز الوطني للأبحاث الجوية في ولاية كولورادو، والذي يقول محذراً : لست على يقين من أن أشعة الليزر سوف توصلنا إلى تلك المرحلة، ولو ترك الأمور لي فإني لن أشتري مئات من أجهزة الليزر الآن وأخرج بها إلى الطبيعة لنثر الغيوم .[1]

(١) ينظر : مجلة العربي العلمي العدد ٦٤٧ ، و -http://www.popsci.com/science/article/2012 / 07/better-lasers-may-be-used-effectively-create-rain http://www.el-balad.com/918082

المبحث الثاني

موقف السنة المطهرة من الاستمطار

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول

تكييف الاستمطار مع السنة المطهرة

لقد دعا الإسلام إلي مواكبة المستجدات ، وأمرنا بالتعامل معها وفق سنة الله في أرضه ، ومحاولة تسخيرها لنفع الخلق ، وأخبر سبحانه أنه أحاط بكل شيء علما ، قال تعالي ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (١) وأمر نبيه وأمته من بعده بالتزود من العلم الذي يعد من أهم عوامل التقدم والرقي ، قال تعالي ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (٢) ، و لم تكن السنة المطهرة بمنأي عن هذا الأمر الإلهي ، بل أخذ به النبي ﷺ وحث أمته علي الإبداع ومواكبة المستجدات التي تعود بالنفع علي الخلق ، وما استجابته ﷺ لفكرة الحباب بن المنذر في غزوة بدر ، أو تطبيقه لفكرة سلمان الفارسي في حفر الخندق ، أو استشارته عقول صحابته الكرام إلي غير ذلك من وسائل الإبداع والابتكار ، إلا دعوةً للأخذ بالعلم النافع ، وتسخيره في خدمة الخلائق .ولا يكاد يخلو عصر من العصور بعد بعثته ﷺ ، إلا وتظهر علي الساحة قضايا جديدة ، لم تكن في العصور الأولي من الإسلام ، كما أن المدنية الحديثة تفرز لنا مسائل متنوعة تحتاج إلى حلول تتناسب مع حداثتها ، وقد تكون هذه الحلول غير موجودة في كتب الفقهاء نظراً لحداثة تلك المسائل ؛ لكن يبقي الأصل في القرآن الكريم والسنة المطهرة الذي أمرنا أن نتعامل مع كل جديد بما لا يخالف المنهج الإلهي ، أو يتعارض مع سنة الله في الأرض ، تحقيقاً لقوله ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِىٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (٣) والتزاماً بالمنهج النبوي في التزود من العلم .

والاستمطار بمفهومه العلمي لا يتناقض مع سنة النبي ﷺ ولا يخالفها ، وهو أحد المسائل التي ظهرت في العصر الحديث ، وموقف السنة منها أن نتعرف عليها ونحيط علماً بها ونتدبر كنهها وكيفيتها ، ونخضعها لإرادة الله ﷻ فإذا خالفت مراد الله ردت ، وإذا وافقته أمرنا بالأخذ بها وتطويرها بما تخدم به الخلق ، مع اليقين بأن الجميع خاضع لإرادة الخالق سبحانه أولاً وآخراً . وعليه فدراسة هذه المسألة من وجهة نظر السنة المطهرة لا مانع منها ، إذ لم يأت نص صريح بتحريمها ، بل إن الأدلة توافرت علي التعامل معها ودراستها كغيرها من المسائل الحديثة .

---

(١) سورة الطلاق : من الآية (١٢) .

(٢) سورة طه : من الآية (١١٤) .

(٣) سورة الأنعام : من الآية (١٣٨) .

المطلب الثاني

موقف النبي ﷺ من نقص المطر

إذا تأملنا سنة النبي ﷺ عند الجدب ونقص المطر ، وجدنا أن النبي ﷺ كان يلجأ إلى الله ﷻ بالاستسقاء ، تارةً بالصلاة مع الدعاء وتارةً بالدعاء فقط بدون صلاة ، وذلك في عدة وقائع :

الأولى : الاستسقاء بالصلاة سواء كانت جماعة أو فرادى (١) :

وهو أكملها،وصلاته ﷺ مستفيضة في الصحاح وغيرها،واتفق فقهاء الأمصار على هذا النوع(٢).

فعَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَمِّهِ عبد الله بن زيد المازني ، قَالَ: " رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي، قَالَ: فَحَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ يَدْعُو، ثُمَّ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ صَلَّى لَنَا رَكْعَتَيْنِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالقِرَاءَةِ ".

(٣)ومنها حديث السيدة عَائِشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ شَكَى النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُحُوطَ الْمَطَرِ فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ ﷺ وَحَمِدَ اللَّهَ ﷻ ثُمَّ قَالَ « إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﷻ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ ». ثُمَّ قَالَ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (٤) لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلاَغًا إِلَى حِينٍ » ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبْطَيْهِ ثُمَّ حَوَّلَ عَلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَقَلَّبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أُمْطِرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَقَالَ«أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

---

(١) قال الإمام ابن الملقن في الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ٣١٧/٤ : " واعلم أن الاستسقاء أنواع : الأول الدعاء بلا صلاة ولا خلف صلاة وأوسطها الدعاء خلف الصلوات وفي خطبة الجمعة ، والاستسقاء بركعتين وخطبتين ، والثاني أفضل من الأول ، والثالث أكمل الكل ، وخالف فيه أبو حنيفة ..."

(٢) الإحكام شرح أصول الأحكام،لابن قاسم٥٠٤/١ والاستسقاء سننه وآدابه للشيخ عبدالوهاب بن عبد العزيز الزيد، ص٣١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الاستسقاء – باب الاستسقاء وخروج النبي ﷺ في الاستسقاء (١/ ٣٤١) ح ٩٦٠ ، وبَابُ تَحْوِيلِ الرِّدَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ (١/ ٣٤٣) ح ٩٦٥ ، وح٩٦٦ ، وباب الدعاء في الاستسقاء قائما (١/ ٣٤٧) ح ٩٧٧ ، وباب الجهر بالقراءة في الاستسقاء (١/ ٣٤٧) ح ٩٧٨ ، وباب كيف حول النبي ﷺ ظهره إلى الناس (١/ ٣٤٧) ح ٩٧٩ ، وباب صلاة الاستسقاء ركعتين (١/ ٣٤٨) ح ٩٨٠ ، و باب الاستسقاء في المصلى (١/ ٣٤٨) ح ٩٨١ ، وباب استقبال القبلة في الاستسقاء (١/ ٣٤٨) ح ٩٨٢ ، ومسلم في صحيحه – كِتَابُ صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ – الباب الذي يلي صلاة الاستسقاء (٣/ ٢٣) ح ٢١٠٧ ، وأبو داود في سننه – كتاب الصلاة – جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها (١/ ٣٧٢) ح ١١٦١ – ١١٦٢ – ١١٦٣ – ١١٦٤ – ١١٦٦ – ١١٦٧ ، والترمذي في سننه – أبواب السفر – باب ما جاء في صلاة الاستسقاء (٢/ ٤٤٢) ح ٥٥٦ ، والنسائي في المجتبى – كتاب الاستسقاء – خروج الإمام إلى المصلى للاستسقاء (٣/ ١٥٥) ح ١٥٠٥ – ١٥٠٧ – ١٥٠٩ – ١٥١٠ – ١٥١١ – ١٥١٢ – ١٥١٩ – ١٥٢٠ – ١٥٢٢ ، وابن ماجة في سننه – كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – باب ما جاء في صلاة الاستسقاء (١/ ٤٠٣) ح ١٢٦٧ .

(٤) سورة الفاتحة : الآيات (٢–٤) .

شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».[1] ومنها حديث أَبِي إِسْحَاقَ قال:خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الأَنْصَارِيُّ وَخَرَجَ مَعَهُ البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ ﷺ «فَاسْتَسْقَى، فَقَامَ بِهِمْ عَلَى رِجْلَيْهِ عَلَى غَيْرِ مِنْبَرٍ، فَاسْتَغْفَرَ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يَجْهَرُ بِالقِرَاءَةِ، وَلَمْ يُؤَذِّنْ وَلَمْ يُقِمْ» قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الأَنْصَارِيُّ النَّبِيَّ ﷺ .[2]

الثانية : استسقاؤه ﷺ يوم الجمعة في خطبتها : وقد استفاض عنه من غير وجه، وهذا النوع مستحب اتفاقًا، واستمر عمل المسلمين عليه[3]؛ لحديث أنس بن مالك ﷺ قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَ المَالُ وَجَاعَ العِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً[4]، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الغَدِ وَبَعْدَ الغَدِ،وَالَّذِي يَلِيهِ،حَتَّى الجُمُعَةِ الأُخْرَى،وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ–أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ–فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَ البِنَاءُ وَغَرِقَ المَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ:اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ، وَصَارَتِ المَدِينَةُ مِثْلَ الجَوْبَةِ[5]،وَسَالَ الوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا[6]وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ[7]" .[8]

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه كتاب الصلاة جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها باب رفع اليدين في الاستسقاء١/٣٧٤ح ١١٧٣، وقال الألباني : حسن .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الاستسقاء – بَابُ الدُّعَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ قَائِمًا (١/ ٣٤٧) ح ٩٧٦ ، ومسلم في صحيحه – كتابالجهاد والسير – باب عدد غزوات النبي ﷺ (٣/ ١٤٤٤) ح ١٢٥٤ .

(٣) الإحكام شرح أصول الأحكام، لابن قاسم، ١/٥٠٤ .

(٤) قَزَعَة : قِطْعة من الغَيْم وجَمْعُها قَزَعٌ (النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٨٦) مادة " قزع " ، لسان العرب (٨/ ٢٧١) مادة " قزع " .

(٥) الجَوْبَة : الحُفْرة المستديرة الواسعة ، وكُلُّ مُنْفَتِق بلا بناءجَوْبَة ، أي حَتَّى صار الغَيْم والسحاب مُحيطاً بآفاق المدينة ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨٣٢) مادة " جوب " ، لسان العرب (١/ ٢٨٣) مادة " جوب " .

(٦) قال الحافظ ابن حجر : أُعْرِبَ قناة بالضَّمِّ عَلَى أَنَّ قَنَاة إِسْم الْوَادِي ، فتح الباري (٣/ ٤٤٨) ، وقد جاء في غير كتاب مسلم : (وسال وادي قناة شهرًا) على الإضافة ، وعليه تكون قناة : اسم واد من أودية المدينة عليه حَرْثٌ ومالٌ وزرع ، وكأنه سُمي مكانه : قناة ، ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٩٢) مادة " قنا " ، معجم ما استعجم (٣/ ١٠٩٦) ، لسان العرب (١٥/ ٢٠١) مادة " قنا " .

(٧) الجَوْد : المطر الواسع الغَزير ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨٣٥) مادة " جود " ، تاج العروس من جواهر القاموس (٧/ ٥٢٩) مادة " جود " .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستسقاء بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي الخُطْبَةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ١/٣١٥ح٨٩١،وبَابُ مَنْ تَمَطَّرَ فِي المَطَرِ حَتَّى يَتَحَادَرَ عَلَى لِحْيَتِهِ١/٣٤٩ح٩٨٦ومسلم في صحيحه كتاب صلاة الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء٢/٦١٢ح٨٩٧والنسائي في المجتبي كتاب الاستسقاء باب رفع الإمام يديه عند مسألة إمساك المطر٣/١٦٦ح ١٥٢٨وقال هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقْرَءُونَ نَجْنَجْ وَإِنْ هَذَا الْحَدِيثَ حُجَّةٌ لَهُمْ وقال الشيخ الألباني حسن والحاكم في المستدرك١/٤٧٦ح١٢٢٥وقال حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه وابن حبان في صحيحه كتاب الرقائق باب الأدعية ذكرمايدعو المرء به عند وجود الجدب بالمسلمين٣/٢٧١ح٩٩١وح٢٨٦٠ وقال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن والبيهقي في السنن الكبرى كتاب صلاة الاستسقاء باب ذِكْرِ الأَخْبَارِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ دَعَا أَوْخَطَبَ قَبْلَ الصَّلاَةِ٣/٣٤٩ح٦٦٣٧وقال ابن الملقن في البدرالمنير٥/١٥٢صَحَّحَهُ ابْن السكن .

الثالثة : اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ اسْتِسْقَاءً مُجَرَّدًا فِي غَيْرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ فِيهِ صَلَاةٌ :ومنه حديث عبد الله بن عباس ﷺ قال : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ مَا يَتَزَوَّدُ لَهُمْ رَاعٍ وَلَا يَخْطُرُ لَهُمْ فَحْلٌ[1] فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيعًا مَرِيئًا طَبَقًا غَدَقًا عَاجِلًا غير رائث ثُمَّ نَزَلَ فَمَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنْ وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ إِلَّا قَالَ قَدْ أَحْيَيْتَنَا " .[2]

الرابعة : الدعاء بدون صلاة [3] وفي الخلوات، ولا نزاع في جواز الاستسقاء بالدعاء بلا صلاة)[4].ومن ذلك استسقاؤه ﷺ عند أحجار الزيت ، ومنه حديث عُمَيْرٍ مَوْلَى بَنِي آبِي اللَّحْمِ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَسْقِي عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ قَرِيبًا مِنَ الزَّوْرَاءِ قَائِمًا يَدْعُو يَسْتَسْقِي رَافِعًا يَدَيْهِ قِبَلَ وَجْهِهِ لَا

---

(١) قوله : " **مَا يتزود لَهُم رَاع** " أي لَيْسَ لَهُم رَاع بِسَبَب هَلَاك الْمَوَاشِي ، وَقَوله " **وَلَا يخْطر لَهُم فَحل** " أي لَا يَتَحَرَّك ذَنبه هزاً من لشدَّة الْقَحْط وَإِنَّمَا يَفْعَله عِنْد الشَّبع والأمن (شرح سنن ابن ماجه للسيوطي صـ ٩١) .

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه — كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء (١/ ٤٠٤) ح١٢٧٠ ، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٩٤) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٥/ ١٦٥) : حَدِيث حسن .

(٣) ذكر العلماء أن من أحوال الاستسقاء الدعاء عقب الصلوات والنبي ﷺ جالس في المسجد ومنهم ابن القيم رحمه الله ، واستدلوا بحديث أنس بن مالك ﷺ : " قال محل الناس على عهد رسول الله ﷺ فأتاه المسلمون فقالوا يا رسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فقال إذا كان يوم كذا وكذا فاخرجوا وأخرجوا معكم بصدقات فلما كان ذلك اليوم خرج رسول الله ﷺ والناس يمشي ويمشون ، عليهم السكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم النبي ﷺ فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل القوم بوجهه وقلب رداءه ثم جثى على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة قبل أن يستسقي ثم قال اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً رحباً ربيعاً وجداً غدقاً طبقاً مغدقاً هنيئاً مريعاً مربعاً وابلاً شاملاً مسبلاً نجلاً دِيَمّاً دِرراً نافعاً غير ضار عاجلاً غير رائث،اللهم تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر منا والباد، اللهم أنزل علينا في أرضنا زينتها وأنزل في أرضنا سكنها ، اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهوراً فأحيي به بلدة ميتة واسقه ما خلقت أنعاماً وأناسي كثيراً"قال فما برحوا حتى أقبل قزع من السحاب فالتأم بعضه إلى بعض ثم مطرت عليهم سبعة أيام ولياليهن لا يقلع عن المدينة فأتاه المسلمون فقالوا يا رسول الله قد غرقت الأرض وهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله لنا أن يصرفها عنا قال فضحك رسول الله ﷺ وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة بني آدم ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رؤوس الظراب ومنابت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام قال فتصدعت عن المدينة وكانت في مثل الترس تمطر مراعيها ولا تقطر فيها قطرة " .لكن تبين أن الحديث ضعيف ، قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا عقيل ولا عن عقيل إلا ابن لهيعة ولاعن ابن لهيعة إلا بحاشع ابن عمرو تفرد به شاذان ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه بحاشع بن عمرو قال ابن معين: قد رأيته أحد الكذابين ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢/ ٢٥١) .

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٣٩/٦، والإنصاف مع الشرح الكبير،٤٣٦/٥ ، والمغني لابن قدامة، ٣٤٨/٣، والإحكام شرح أصول الأحكام ٥٠٥/٨ .

يُجَاوِزُ بِهِمَا رَأْسَهُ . [1]وَمِنْهَا حَدِيث مُحَمَّد بن إِسْحَاق قَالَ : حَدثني الزُّهْرِيّ ، عَن عَائِشَة بنت سعد أَن أَبَاهَا حدَّثها «أَن رَسُول الله ﷺ نزل وَاديا دهشًا لَا مَاء فِيهِ ، وَسَبقه الْمُشْرِكُونَ إِلَى (العلات) فنزلوا عَلَيْهَا وَأَصَاب الْعَطش (الْمُسلمين) (فشكوا) إِلَى رَسُول الله ﷺ وَنجم النِّفَاق ، فَقَالَ بعض الْمُنَافِقين : لَو كَانَ نبيًّا كَمَا زعم لاستسقى كَمَا استسقى مُوسَى لِقَوْمِهِ . فَبلغ ذَلِك النَّبِي ﷺ فَقَالَ : أَو قالوها ؟ ! عَسى ربكُم أَن يسقيكم . ثمَّ بسط يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ (جللنا) سحابًا كثيفًا قصيفًا دلوقًا (مخلوقًا) (ضحوكًا) زبرجًا ، تمطرنا مِنْهُ رذاذًا قطقطًا سجلا بعاقًا ، يَا ذَا الْجلَال وَالْإِكْرَام ، فَمَا ردّ يَدَيْهِ من دُعَائِهِ حَتَّى أظلتنا السَّحَاب الَّتِي وصف ، يَتلون فِيّ كل صفة وصف رَسُول الله ﷺ من صِفَات السَّحَاب،ثمَّ أمطرنا كالضروب الَّتِي سَأَلَهَا رَسُول الله ﷺ فأنعم السَّيْل الْوَادي،فَشرب النَّاس من الْوَادي فارتووا»[2]

وحمله البعض علي أنه رأي أبي حنيفة رحمه الله حيث قال : لَا صَلَاةَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ وَإِنَّمَا فيه الدُّعَاءُ . [3]

لكنه متعقب بقول الكاساني : أَرَادَ بِقَوْلِهِ لَا صَلَاةَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ ، الصَّلَاةَ بِجَمَاعَةٍ ، أَيْ لَا صَلَاةَ فيه بِجَمَاعَةٍ ، بِدَلِيلِ ما روى عن أبي يُوسُفَ أَنَّهُ قال سَأَلْت أَبَا حَنِيفَةَ عن الِاسْتِسْقَاءِ هل فيه صَلَاةٌ أو دُعَاءٌ مُوَقَّتٌ أو خُطْبَةٌ فقال أَمَّا صلاة بِجَمَاعَةٍ فَلَا ، وَلَكِنْ الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ وَإِنْ صَلَّوْا وُحْدَانًا فَلَا بَأْسَ بِهِ وَهَذَا مَذْهَبُ أبي حَنِيفَةَ . [4]

قال النووي رحمه الله : وقال سائر العلماء من السلف والخلف الصحابة والتابعون فمن بعدهم تسن الصلاة ولم يخالف فيه إلا أبو حنيفة وتعلق بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ صلى للاستسقاء ركعتين وأما الأحاديث التي ليس فيها ذكر الصلاة فبعضها محمول على نسيان الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه–كتاب الصلاة–جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها–باب رفع اليدين في الاستسقاء (١/٣٧٣)ح ١١٦٨،١١٧٢،والترمذي في سننه–باب ما جاء في صلاة الاستسقاء(٢/٤٤٣)ح٥٥٧ وقال:كذا قال قتيبة في هذا الحديث عن أبي اللحم ولانعرف له عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث الواحد وعمير مولى أبي اللحم قد روى عن النبي ﷺ أحاديث وله صحبة،قال الشيخ الألباني:صحيح،والنسائي في المجتبي–كتاب الاستسقاء–كيف يرفع (٣/ ١٥٨)ح١٥١٤،وأحمد في مسنده(٢٦/٣٣٩)ح١٦٤١٣وح٢١٩٤٣وح٢١٩٤٤وح٢٣٦٢١،والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧٥) ح ١٢٢٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه وعمير مولى آبي اللحم له صحبة ، وح ١٩٦٣ ، وح ٦٦١٤، وابن حبان في صحيحه – كتاب الرقائق – باب الأدعية – ذكر البيان بأن رفع اليدين في الدعاء يجب أن لا يجاوز بهما رأسه (٣/ ١٦٢) ح ٨٧٨ .

(٢) أورده ابن الملقن في البدر المنير (٥/١٦٦) وعزاه إلى أبي عوَانَة في «صَحِيحه» وقال أبو عوانة : وَهُوَ مِمَّا لم يُخرجهُ مُسلم ، قال ابن الملقن أي : وَهُوَ عَلَى شرطه ، سبل السلام (٣/ ٢٨) ح ٤٨٥ .

(٣) المبسوط (٢/ ٧٥) ، شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٨٧) .

(٤) الحجة علي أهل المدينة (١/ ٣٣٢) ، الاختيار لتعليل المختار (١/٧٦) ، بدائع الصنائع (١/٢٨٢) ، بداية المبتدي صـ٢٨ ، العناية شرح الهداية (٢/٤٤٩) .

ويتعقبه الصلاة للجمعة فاكتفى بها ولو لم يصل أصلا كان بيانا لجواز الاستسقاء بالدعاء بلا صلاة ولا خلاف في جوازه وتكون الأحاديث المثبتة للصلاة مقدمة لأنها زيادة علم ولا معارضة بينهما . [1]

قال النووي رحمه الله : قال أصحابنا الاستسقاء ثلاثة أنواع أحدها الاستسقاء بالدعاء من غير صلاة ، الثاني الاستسقاء في خطبة الجمعة أو في أثر صلاة مفروضة وهو أفضل من النوع الذي قبله ، والثالث وهو أكملها أن يكون بصلاة ركعتين وخطبتين ويتأهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى . [2]

قال الصنعاني رحمه الله : وَقَدْ عَدَّ فِي الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ أَنْوَاعَ اسْتِسْقَائِهِ ﷺ :

(فَالْأَوَّلُ) : خُرُوجُهُ ﷺ إلَى الْمُصَلَّى ، وَصَلَاتُهُ وَخُطْبَتُهُ .

(وَالثَّانِي) : يَوْمُ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ أَثْنَاءَ الْخُطْبَةِ .

(الثَّالِثُ) : اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ اسْتَسْقَى مُجَرَّدًا فِي غَيْرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ فِيهِ صَلَاةٌ .

(الرَّابِعُ) : أَنَّهُ اسْتَسْقَى ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فَرَفَعَ يَدَهُ وَدَعَا اللَّهَ ﷻ .

(الْخَامِسُ) أَنَّهُ اسْتَسْقَى عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ قَرِيبًا مِنْ الزَّوْرَاءِ ، وَهِيَ خَارِجُ بَابِ الْمَسْجِدِ .

(السَّادِسُ) : أَنَّهُ اسْتَسْقَى فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ لَمَّا سَبَقَهُ الْمُشْرِكُونَ إلَى الْمَاءِ وَأُغِيثَ ﷺ فِي كُلِّ مَرَّةٍ اسْتَسْقَى فِيهَا . [3]قال ابن القيم رحمه الله : ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ اسْتَسْقَى عَلَى وُجُوهٍ :أَحَدُهَا: يَوْمُ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَتِهِ ، وَقَالَ (اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا) . [4]

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ ﷺ وَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ إلَى الْمُصَلَّى، فَخَرَجَ لَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مُتَوَاضِعًا، مُتَبَذِّلًا، مُتَخَشِّعًا، مُتَرَسِّلًا، مُتَضَرِّعًا، فَلَمَّا وَافَى الْمُصَلَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ - إنْ صَحَّ، وَإِلَّا فَفِي الْقَلْبِ مِنْهُ شَيْءٌ - فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَكَبَّرَهُ، وَكَانَ مِمَّا حُفِظَ مِنْ خُطْبَتِهِ وَدُعَائِهِ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [5]، لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، اللَّهُمَّ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَهُ عَلَيْنَا قُوَّةً لَنَا وَبَلَاغًا إلَى حِينٍ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَأَخَذَ فِي التَّضَرُّعِ وَالِابْتِهَالِ وَالدُّعَاءِ وَبَالَغَ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إبْطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَحَوَّلَ إذْ ذَاكَ رِدَاءَهُ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فَجَعَلَ الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَيْسَرِ، وَالْأَيْسَرَ عَلَى الْأَيْمَنِ ، وَظَهْرَ الرِّدَاءِ لِبَطْنِهِ، وَبَطْنَهُ لِظَهْرِهِ، وَكَانَ الرِّدَاءُ خَمِيصَةً سَوْدَاءَ، وَأَخَذَ فِي الدُّعَاءِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَالنَّاسُ

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦/١٨٧) .

(٢) المرجع السابق (٦/١٨٨) .

(٣) سبل السلام (٣/ ١٤) .

(٤) هو ما أخرجه البخاري من حديث أنس السابق .

(٥) سورة الفاتحة : الآيات (٢-٤) .

كَذَلِكَ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ كَصَلَاةِ الْعِيدِ مِنْ غَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ وَلَا نِدَاءِ الْبَتَّةَ، جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ، وَقَرَأَ فِي الْأُولَى بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [1] وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [2] **الْوَجْهُ الثَّالِثُ:** أَنَّهُ ﷺ (اسْتَسْقَى عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ) اسْتِسْقَاءً مُجَرَّدًا فِي غَيْرِ يَوْمِ جُمُعَةٍ، وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ ﷺ فِي هَذَا الِاسْتِسْقَاءِ صَلَاةٌ .

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ ﷺ اسْتَسْقَى وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا اللَّهَ ﷻ فَحُفِظَ مِنْ دُعَائِهِ حِينَئِذٍ: (اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيعًا طَبَقًا عَاجِلًا غَيْرَ رَائِثٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍ) .

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّهُ ﷺ (اسْتَسْقَى عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ قَرِيبًا مِنَ الزَّوْرَاءِ) وَهِيَ خَارِجُ بَابِ الْمَسْجِدِ الَّذِي يُدْعَى الْيَوْمَ بَابَ السَّلَامِ نَحْوَ قَذْفَةِ حَجَرٍ، يَنْعَطِفُ عَنْ يَمِينِ الْخَارِجِ مِنَ الْمَسْجِدِ .

الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّهُ ﷺ اسْتَسْقَى فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ لَمَّا سَبَقَهُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْمَاءِ فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ الْعَطَشُ، فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ: لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَاسْتَسْقَى لِقَوْمِهِ كَمَا اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: (أَوَقَدْ قَالُوهَا؟ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَسْقِيَكُمْ ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ وَدَعَا) فَمَا رَدَّ يَدَيْهِ مِنْ دُعَائِهِ حَتَّى أَظَلَّهُمُ السَّحَابُ وَأُمْطِرُوا، فَأَفْعَمَ السَّيْلُ الْوَادِيَ، فَشَرِبَ النَّاسُ فَارْتَوَوْا . [3]

المطلب الثالث

موقف الصحابة من نقص المطر

سار الصحابة ﷺ علي نهج النبي ﷺ في الاستسقاء ، بالصلاة والدعاء ، فعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قال ، خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الأَنْصَارِيُّ وَخَرَجَ مَعَهُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ ﷺ «فَاسْتَسْقَى، فَقَامَ بِهِمْ عَلَى رِجْلَيْهِ عَلَى غَيْرِ مِنْبَرٍ، فَاسْتَغْفَرَ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ، وَلَمْ يُؤَذِّنْ وَلَمْ يُقِمْ» قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الأَنْصَارِيُّ النَّبِيَّ ﷺ . [4] **ولما كان النبي ﷺ أقربهم لربه ، وهو الإمام لهم فإنهم كانوا يتوسلون به إلي الله ﷻ ليسقيهم ، فلما انتقل ﷺ إلي الرفيق الأعلي فإنهم كانوا يتوسلون بالعباس عم النبي ﷺ ، لكونه حياً** ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا» قَالَ: فَيُسْقَوْنَ . [5] وقد استدل به علي جواز التوسل بالأحياء من الأولياء والصالحين .

---

(١) سورة الأعلي : آية (١) .

(٢) سورة الغاشية : آية (١) .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٣٩) .

(٤) حديث صحيح ، تقدم تخريجه .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الجمعة – بَابُ سُؤَالِ النَّاسِ الإِمَامَ الِاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا (٢/ ٢٧) ح ١٠١٠ .

المطلب الرابع

الشبهات المثارة حول الاستمطار الصناعي

قد يشكل علي البعض أن الاستمطار الصناعي يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم أو السنة المطهرة – فيثيرون الشبهات حول هذا الأمر ، ومنها :

** **الشبهة الأولي : أن الاستمطار تدخل في خلق الله** :قد يقول قائل الاستمطار يتعارض مع قوله تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ [1] ويقولون إن الاستمطار تدخل في خلق الله لنسبة عملية إنزال المطر إلي البشر دون الله ﷻ المنزل الحقيقي .

وللرد علي هذه الشبهة نقول : من الأمور المقطوع بها أن الله ﷻ هو الذي هيأ كل الأسباب لإنزال المطر وعندما لاتوجد تللك الأسباب لن يكون هناك مطر ، لأن الإنسان لن يستطيع استعمال المعدوم أو تطويره أو التأثير عليه ، وغاية ما لديه أنه يتعامل مع الموجودات التي أوجدها الله تعالي وسخرها له ، ومع هذا يبقى الإنسان ضعيفاً ذليلاً لخالقه فلا يستطيع الإنسان تبخير المحيطات وترطيب الأجواء والسموات وسوق الرطوبة إلى القارات وتكثيفها والتأليف بينها لتكون ركاماً يحمل الخيرات بل هذا لله وحده الخالق المالك المدبر .وفي الآية الكريمة أن الله تعالى هو الذي هيأ أسباب الزراعة وقدرها ، والإنسان يبذر ويسقي ويسمد حتى ينمي مزروعاته ، فهل في ذلك تعارض مع قدرة الخالق سبحانه ، فنقول للمزارع لاتزرع ولا تسمد ، فالله هو الزارع ، وما ينطبق على الزرع ينطبق على الاستمطار ، والفرق أن ذلك في الفضاء وهذا على سطح الأرض .

** **الشبهة الثانية : أن الاستمطار محاولة للاطلاع علي الغيب** :

حيث جاءت الآيات والأحاديث فنسبت علم الغيب إلي الله ﷻ وحده ، والاستمطار تدخل في علم الغيب لأنه يستنزل المطر الذي انفرد الله ﷻ بوقت نزوله ، ومن هذه الآيات والأحاديث : حديث عبد الله بن عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ، وَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ . [2]

وفي لفظ : مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [3].

---

(١) سورة الواقعة : الآيات (٦٨ – ٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الاستسقاء – باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله ٢/٣٣ ح ١٠٣٩، وابن حبان في صحيحه – كتاب العلم – ذِكْرُ عَدَدِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهَا دُونَ خَلْقِهِ (١/ ٢٧٢) ح ٧٠.

(٣) أخرجه النسائي في الكبري كتاب النعوت قَوْلُهُ ﷻ :﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾الجـــن:٢٦(٧/١٥٢)ح ٧٦٨١.

أو ما جاء في الترمذي وغيره : أنه ﷺ سئل عن الرعد فقال : " مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ " (١)

قَالَ عبد الله بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ في تفسير الآية السابقة : هَذِهِ الْخَمْسَةُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا يَعْلَمُهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَمَنِ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ خَالَفَهُ . (٢)

وقال الطبري رحمه الله ﴿ ثُمَّ ثُمَّ ﴾ فلا يعلم أحد متى يترل الغيث، ليلا أو نهارا يترل؟ . (٣)

وقال ابن كثير:إِنْزَالُ الْغَيْثِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَكِنْ إِذَا أَمَرَ بِهِ عَلِمَتْهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بذلك.(٤)

وقال المباركفوري : ﴿ ثُمَّ ثُمَّ ﴾ أي يرسل المطر الذي يغيث البلاد والعباد في وقته المقدر له والمحل المعين له في علمه وبالكمية والكيفية المقررتين عنده لا يعلم ذلك إلا هو . (٥)

وقال السعدي رحمه الله : قد تقرر أن الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الأمور الخمسة، من الأمور التي طوي علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فضلا عن غيرهما، ثم قال: ومن حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك .(٦)

لكن الحقيقة أنه لا تعارض بين الاستمطار الصناعي بالطريقة العلمية المذكورة ، وبين ما أخبر به النبي ﷺ ، وذلك للآتي :

فإن ما أخبر به النبي ﷺ عن ربه من نسبة مفاتح الغيب إليه سبحانه أمر لا نزاع فيه ، إذ لا يستطيع مخلوق أن يخبر عن هذه الغيبيات التي استأثر الله ﷻ بعلمها ، حتى الإخبار بما في الأرحام قد

---

(١) لفظه في سنن الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أقبلت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد، ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أُمر، قالوا: صدقت...) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن- باب ومن سورة الرعده/١٤٥ ح ٣١١٧، وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي،٢٦٢/٣، وفي الأحاديث الصحيحة، برقم ١٨٧٢ ، والنسائي في الكبري – كتاب عشرة النساء – كَيْفَ تُؤْنِثُ الْمَرْأَةُ، وَكَيْفَ يُذْكِرُ الرَّجُلُ (٨/ ٢١٨) ح ٩٠٢٤ ، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٨٤) ح ٢٤٨٣ ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٥) ح ١٢٤٢٩، وقال الهيثمي : رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُمَا ثِقَاتٌ (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/ ٢٤٢) ح ١٣٩٠٢ – ١٣٩٠٣ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/ ١٦٠) ، تفسير القرطبي (١٤/ ٨٢) ، تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٥) .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/ ١٦٠) .

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٥) .

(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ١٩٩) .

(٦) تفسير السعدي ٦٥٣ .

يعترض عليه بأن هناك من الأجهزة التي كشفت نوع الجنين في بطن أمه ، لكن يبقي الإعجاز قائماً في أن هذه الأجهزة تعجز عن الإحاطة بكل ما يحدث في الأرحام ، ففيها الكثير والكثير من العلم الغيبي الذي لم يطلع عليه الإنسان إلي الآن ، وفي كل يوم تطالعنا الاكتشافات العلمية باكتشاف جديد في الرحم ، كما أن هذه الأجهزة تعجز أيضاً عن تحديد عمر المولود بعد ولادته وشقي هو أم سعيد غني سيكون أم فقير ، وعليه فمن ادعي علمه بهذه الغيبيات ومنها نزول المطر في المستقبل بدون علمٍ أو مقدمات فإنه كافر لأنه مكذب لقول الله تعالى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[1] .وأما من أخبر بنزول مطر أو توقع نزوله مستقبلاً بناءً على ما تقتضيه الآلات الدقيقة التي تقاس بها أحوال الجو ، أو الأرصاد الجوية ، فيعلم المختص بذلك أن الجو مهيأ لسقوط الأمطار ، فإن هذا ليس من علم الغيب بل هو مستند إلي أمر محسوس والشيء المستند إلى أمر محسوس لا يقال إنه من علم الغيب ، وكذا التنبؤات التي تقال في الإذاعات من هذا الباب ، فإنما نتائج لمقدماتٍ تم التوصل إليها بواسطة الآلات الدقيقة التي تضبط حالات الجو ، والعلم الذي أمرنا الله ﷻ من الاستزادة منه ، قال تعالي ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2] ، ومع هذا فقد عجز المختصون عن تحديد الوقت الذي سينزل فيه المطر مستقبلاً بدقة ، وكذا عجزوا عن تحديد كمية المطر التي ستنزل ومقدارها ، لأن هذه الوسائل والآلات لم تصل بعد إلى حدٍ تدرك به ماذا يكون من حوادث الجو بل هي محصورة في ساعات معينة ، ثم قد تخطئ أحياناً وقد تصيب ، أما علم الغيب فيقوم بتحديد كل ذلك وأكثر،ويستند إلى مجرد العلم فقط بدون وسيلة محسوسة،وهذا لا يعلمه إلا الله ﷻ.وأما حديث الرعد فإنه يخبر أن الله أوكل ملكاً يسوق السحاب حيث شاء الله تعالي ، وقد يشكل أن الاستمطار تدخل في عمل الملك ، ولكن من خلال التدقيق في الاستمطار تبين أن الاستمطار لا يملك القدرة علي توجيه السحب ، غاية الأمر أن المستمطر يبذر مواداً فوق السحب ، وهي تسير حيث أمرها الله ، فتسقط المطر ويكون ذلك أيضاً داخلاً في مشيئة الله ، وإذا أراد الله ألا تمطر فلن تمطر ، وقد تتوجه السحب إلي وجهة غير التي يرجوها الإنسان ، فلا يملك تحويلها عن وجهتها التي وجهها إليها الملك ، فلا يعد هذا تدخلاً في عمل الملك ولا يعارض إرادة الله ﷻ . والمعني نفسه ينطبق علي حديث عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: " مَا مِنْ عَامٍ أَمْطَرَ مِنْ عَامٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[3] الْآيَةَ . [4]

---

(١) سورة النمل : من الآية (٦٥) .

(٢) سورة طه : من الآية (١١٤) .

(٣) سورة الفرقان : من الآية (٥٠) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤٣٧/٢) ح ٣٥٢٠ ، وقال : «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

** الشبهة الثالثة : أن الاستمطار يتعارض مع العقيدة الصحيحة ، حيث يطعن في التوكل المأمور به العبد :

قد يقع إشكال في استمطار السحاب ، فيظن بعض الناس أن المطر الذي يترل نتيجة هذه العملية منسوب إليها نسبةً محضة دون نسبته إلى الفاعل الحقيقي سبحانه وتعالى،وقد وردت عدة أحاديث تنفي نسبة المطر لغير الله ﷻ،سواء إلى النوء أو الكواكب أو غير ذلك،منها : حديث زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ[1] كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ".[2]وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " قَالَ اللَّهُ ﷻ : مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ، يَقُولُونَ الْكَوْكَبُ وَبِالْكَوْكَبِ .[3]وحديث عبدالله بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خِلَالٌ مِنْ خِلَالِ الجَاهِلِيَّةِ الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالنِّيَاحَةُ» وَنَسِيَ الثَّالِثَةَ، قَالَ سُفْيَانُ راوي الحديث وَيَقُولُونَ إِنَّهَا الِاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ .[4]وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَنْ يَدَعَهُنَّ النَّاسُ: النِّيَاحَةُ، وَالطَّعْنُ فِي الأَحْسَابِ، وَالعَدْوَى أَجْرَبَ بَعِيرٌ فَأَجْرَبَ مِائَةَ بَعِيرٍ مَنْ أَجْرَبَ البَعِيرَ الأَوَّلَ، وَالأَنْوَاءُ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا .[5]

---

(١) النوء : مترل من منازل القمر الثمان والعشرين ، قال ابن الأثير : الْأَنْوَاءُ: هِيَ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ مَنْزِلَةً، يَنْزِلُ الْقَمَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي مَنْزِلَةٍ مِنْهَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ يس: ٣٩ وَيَسْقُط فِي الغَرْب كلّ ثلاث عَشْرَة لَيْلَة مَنْزِلَةٌ مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وتطلع أُخْرَى مُقابلَها ذَلِكَ الْوَقْتَ فِي الشَّرْق، فتنْقضي جميعُها مَعَ انْقِضَاءِ السَّنة. وَكَانَتِ الْعَرَبُ تزعُم أَنَّ مَعَ سُقوط المترلة وطُلوع رَقِيبها يَكُونُ مَطر، ويَنسبونه إِلَيْهَا، فَيَقُولُونَ: مُطِرنا بنَوْءِ كَذَا وَإِنَّمَا سُمِّي نَوْءًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَقط السَاقِطُ مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ نَاءَ الطَّالِعُ بالمَشْرِق، يَنُوءُ نَوْءاً: أَيْ نَهَض وطَلَع (النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٢٢) مادة " نَوَأَ " ، لسان العرب (١/١٧٥) مادة " نَوَأَ " ، تاج العروس (١/٤٧٢) مادة " نَوَأَ " .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ (١/٨٤) ح ١٢٥ ، وأبو داود في سننه – كتاب الطب – بَابٌ فِي النُّجُومِ (٤/١٦) ح ٣٩٠٦ ، وَالنسائي في المجتبى – كتاب الاستسقاء – كراهية الاستمطار بالكوكب (٣/١٦٤) ح ١٥٢٥ وابن حبان في صحيحه – كتاب الإيمان – باب فرض الإيمان – ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْعَرَبَ فِي لُغَتِهَا تُضِيفُ الِاسْمَ إِلَى الشَّيْءِ لِلْقُرْبِ مِنَ التَّمَامِ وَتَنْفِي الِاسْمَ عَنِ الشَّيْءِ لِلنَّقْصِ عَنِ الْكَمَالِ (١/ ٤١٧) ح ١٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ (١/ ٨٤) ح ١٢٦ ، وَالنسائي في المجتبى – كتاب الاستسقاء – كراهية الاستمطار بالكوكب (٣/١٦٤) ح ١٥٢٤ ، وفي عمل اليوم والليلة (صـــ ٥١٦) ح٩٢٣ ، وأحمد في مسنده (١٤/ ٣٥٣) ح ٨٧٣٩ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه–كتاب مناقب الأنصار– الباب الذي يلي بَابُ أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ (٥/٤٤)ح٣٨٥٠ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه – أَبْوَابُ الْجَنَائِزِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ – بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ النَّوْحِ (٢/٣١٦) ح ١٠٠٢ وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، والحميدي في مسنده (٢/٢٠١) ح ١٠٠٩.

وحديث عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [1] قَالَ: شُكْرُكُمْ، تَقُولُونَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا وَبِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا. [2]فهذه الأحاديث تفيد أنه لا يجوز نسبة نزول المطر، أو غيره إلى النوء أو النجم ، أو أي سبب لغير الله تعالي ، وإن لم يكن ذلك عن اعتقاده ، فإن الأنواء والنجوم لا تفعل شيئاً ، وليس لها تأثير بذاتها ، وإنما هي أسباب خلقها الله ﷻ لتصريف أحوال الجو وغيره بأمر الله تعالي . أما من اعتقد أنها تفعل شيئاً من ذلك بذاتها ، فهو مشرك الشرك الأكبر .قال ابن عبد البر رحمه الله : معنى نسبة المطر إلى النوء هو عندي على وجهين :أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْمُعْتَقِدَ أَنَّ النَّوْءَ هُوَ الْمُوجِبُ لِنُزُولِ الْمَاءِ وَهُوَ الْمُنْشِئُ لِلسَّحَابِ دُونَ اللَّهِ ﷻ فَذَلِكَ كَافِرٌ كُفْرًا صَرِيحًا يَجِبُ اسْتِتَابَتُهُ عَلَيْهِ وَقَتْلُهُ لِنَبْذِهِ الْإِسْلَامَ وَرَدِّهِ الْقُرْآنَ .وَالْوَجْهُ الْآخَرُ : أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ النَّوْءَ يُنْزِلُ اللَّهُ بِهِ الْمَاءَ وَأَنَّهُ سَبَبُ الْمَاءِ عَلَى مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ وَسَبَقَ فِي عِلْمِهِ فَهَذَا وَإِنْ كَانَ وَجْهًا مُبَاحًا فَإِنَّ فِيهِ أَيْضًا كُفْرًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ ﷻ وَجَهْلًا بِلَطِيفِ حِكْمَتِهِ ، لِأَنَّهُ يُنْزِلُ الْمَاءَ مَتَى شَاءَ ، مَرَّةً بِنَوْءِ كَذَا ، وَمَرَّةً دُونَ النَّوْءِ ، وَكَثِيرًا مَا يَخْوِي النَّوْءُ فَلَا يَنْزِلُ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَاءِ وَذَلِكَ مِنَ اللَّهِ لَا مِنَ النَّوْءِ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ لَا أُحِبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَإِنْ كَانَ النَّوْءُ عِنْدَنَا الْوَقْتُ وَالْوَقْتُ مَخْلُوقٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يُمْطِرُ وَلَا يَحْبِسُ شَيْئًا مِنَ الْمَطَرِ وَالَّذِي أُحِبُّ أَنْ يَقُولَ مُطِرْنَا وَقْتَ كَذَا كَمَا يَقُولُ مُطِرْنَا شَهْرَ كَذَا وَمَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنَّ النَّوْءَ أَنْزَلَ الْمَاءَ كَمَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالٌ دمه إن لم يتب. [3]وعملية الاستمطار هي سبب من أسباب نزول المطر، وتعتمد علي عوامل ومواد ووسائل لنجاحها ، وقد تكتمل تلك العوامل والوسائل ولا يترل مطر إذا أراد الله ذلك، وعليه فلا يحل لمسلم أن ينسب نزول المطر بسبب عملية الاستمطار إليها، لأنه حتي الآن يعجز المختصون عن الجزم بأن ما يترل من مطر نتيجة هذه العملية هل هو بسببها أم لاويصعب عليهم التميز بين المطر النازل بسببها والمطر الطبيعي، وقد تقدم الحديث عن هذه المسألة . [4]

المطلب الخامس

هدي النبي ﷺ إذا رأي سحاباً

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً[5] فِي السَّمَاءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَّفَتْهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا

---

(١) سورة الواقعة : آية (٨٢) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه – أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الوَاقِعَةِ (٥/٢٥٤) ٣٢٩٥ وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، وأحمد في مسنده (٢/٩٧) ح ٦٧٧ وح ٨٤٩ وح١٠٨٧ .

(٣) التمهيد (١٦/٢٨٥- ٢٨٦) ، وينظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٦٠) .

(٤) انظر صـــ .

(٥) الْمَخِيلَة : السَّحَابَةُ الخليقةُ بالمَطَر ، (الفائق في غريب الحديث (١/ ٤٠٢) ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٩٣) مادة " خَيَلَ " ، لسان العرب (١١/ ٢٢٧) مادة " خَيَلَ " ، القاموس المحيط (صـــ ٩٩٦) .

أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الآيَةَ [1]. [2]وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ أيضاً " كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا[3] مِنْ أُفُقٍ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ، تَرَكَ عَمَلَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاتِهِ ثُمَّ يَقُولُ اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ، فَإِنْ كَشَفَهُ اللهُ، حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ مَطَرَتْ، قَالَ: اللهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا " . [4]قال العيني رحمه الله : خوفًا أن تصيب أمته عُقُوبَة ذَنْب الْعَامَّة كَمَا أصَاب الَّذين ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [5]. [6]

** هدي النبي ﷺ إذا نزل المطر :

١-الدعاء :

من هدي النبي ﷺ عند نزول المطر أنه كان يدعو ، ومما حفظ من دعائه قوله في حديث عائشة رضي الله عنها " اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا " وفي بعض روايات الحديث بلفظ " هنيئاً " بدل نافعاً . [7]

والصيب : هو المطر[8] ، قال البغوي : وَالصَّيِّبُ : مَا سَالَ مِنَ الْمَطَرِ، وَأَصْلُهُ : مِنْ صَابَ يَصُوبُ، أَيْ: نَزَلَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[9]. [10]قال الشوكاني رحمه الله : فِيهِ اسْتِحْبَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ

---

(١) سورة الأحقاف : من الآية (٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب بدء الخلق – بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ الفرقان: ٤٨ (٤/ ١٠٩) ح ٣٢٠٦ ، ومسلم في صحيحه – كتاب صَلَاةُ الِاسْتِسْقَاءِ- بَابُ التَّعَوُّذُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ وَالْفَرَحُ بِالْمَطَرِ (٢/ ٦١٦) ح ٨٩٩ ، والترمذي في سننه – أَبْوَاب تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ – بَابٌ وَمِنْ سُورَةِ الْأَحْقَافِ (٥/ ٢٣٥) ح ٣٢٥٧ ، وابن ماجه في سننه – كتاب الدُّعَاءِ بابٌ مَا يَدْعُو بِهِ الرَّجُلُ إِذَا رَأَى السَّحَابَ وَالْمَطَرَ (٢/ ١٢٨٠) ح ٣٨٩١ ، وأحمد في مسنده (٤٢/ ٢١٠) ح ٢٥٣٤٢ وح ٢٦٠٣٧ .

(٣) نَاشِئاً : أَيْ سَحاباً لَمْ يَتكامَل اجتماعُه واصطِحابُه ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٥١) مادة " نشأ " .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – أبواب الاستسقاء – بَابُ مَا يُقَالُ إِذَا مَطَرَتْ صحيح البخاري (٢/ ٣٢) ح ١٠٣٢ ، والنسائي في المجتبى – كتاب الاستسقاء – القول عند المطر (٣/ ١٦٤) ح ١٥٢٣ ، وأحمد في مسنده (٤٠/ ١٧٢) ح ٢٤١٤٤ وح ٢٥٥٧٠ وح ٢٥٨٦٤ ، وابن حبان في صحيحه – كتاب الرقائق – باب الاستعاذة – ذِكْرُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا مِنْ شَرِّ الرِّيَاحِ إِذَا هَبَّتْ (٣/ ٢٨٦) ح ١٠٠٦ والطبراني في الدعاء(صـ ٣٠٨) ح ١٠٠٤– ١٠١٠ .

(٥) سورة الأحقاف : من الآية (٢٤) .

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ١٢٣) .

(٧) حديث صحيح تقدم تخريجه .

(٨) غريب الحديث للخطابي (١/ ٤٩٢) ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٥١) .

(٩) سورة البقرة : من الآية (١٩) .

(١٠) شرح السنة للبغوى (٤/٣٩٠) .

نُزُولِ الْمَطَرِ .[1] وإنما دعا بكونه نافعاً لأن المطر ربما صحبه عذاب ، وربما لم يصحبه عذاب لكنه لا ينتفع به ، فدعا ﷺ بكونه نافعاً ، قال ابن رجب رحمه الله : وفي هذه الأحاديث الدعاء بأن يكون النازل من السماء نافعاً ، وذلك سقيا الرحمة ، دون العذاب .[2] وقد ورد في بعض روايات الحديث (سَيْباً) بالسين [3]، قال ابن رجب عنها : وأما رواية من روى (سَيْباً) بالسين ، فيجوز أن تكون السين مبدلة من الصاد ، وقيل : بل هوَ بسكون الياء ، معناه : العطاء ، وروي عن محمد بن أسلم الطوسي ، أنه رجح هذه الرواية ؛ لأن العطاء يعم المطر وغيره من أنواع الخير والرحمة ا.ه .[4]

وكونه رجح اللفظة لمجرد معناها فيه نظر، فجلّ الروايات على كونها بالصاد، ومعناها ثابت أنها المطر، نعم وردت هذه اللفظة بالسين عند ابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد وابن أبي شيبة في المصنف والنسائي في الكبرى، إلا أن الصحاح أوردتها بالصاد، فأرفع ما يمكن أن نقول أن الحديث ورد باللفظين، وكونه بالصاد أرجح .ومن دعائه أيضاً ﷺ لما كثر المطر وسأله الصحابة الاستصحاء[5] قال : (اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ، وَالْجِبَالِ، وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ).[6]

قال ابن بطال : وفيه من الفقه : استعمال أدب النبي ﷺ المهذب وخلقه العظيم؛ لأنه لم يدع الله ليرفع الغيث جملة لئلا يرد على الله فضله وبركته ومارغب إليه فيه، وسأله إياه.[7] وفي تخصيص النبي ﷺ لهذه الأماكن قال ابن عبد البر : حَيْثُ لَا يَخْشَى هَدْمُ بَيْتٍ وَلَا هَلَاكُ حَيَوَانٍ وَلَا نَبَاتٍ .[8] وهذا ما صح من الدعاء عن النبي ﷺ عند نزول المطر . وقد يرد سؤال في هذا المقام ، وهو هل الدعاء وقت نزول المطر قاصر علي ما أثر عن النبي ﷺ ، أم يجوز للإنسان أن يدعو بما شاء إستناداً لما ورد من أحاديث تفيد قبول الدعاء في هذا الوقت .

---

(١) نيل الأوطار (٤/ ١٧) ، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/١٨١) .

(٢) فتح الباري لابن رجب (٩/ ٢٣٢) .

(٣) سَيْباً : أي عَطاءً، أو مَطَراً جَارِيًا ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٣٢) مادة " سَيَّبَ " ، لسان العرب (١/ ٤٧٧) ، والرواية أخرجها : ابن ماجة في سننه – كتاب الدعاء- بَابُ مَا يَدْعُو بِهِ الرَّجُلُ إِذَا رَأَى السَّحَابَ وَالْمَطَرَ (٢/ ١٢٨٠) ح ٣٨٨٩ وقال الألباني : صحيح ، والنسائي في الكبري – كتاب الاستسقاء – الْقَوْلُ عِنْدَ الْمَطَرِ (٢/٣٢٤) ح ١٨٤١ ، وابن حبان في صحيحه – كتاب الرقائق – باب الأدعية – ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ قَوْلَهُ ﷺ«هَنِيًّا» أَرَادَ بِهِ: نَافِعًا (٣/ ٢٧٥) ح ٩٩٤ ، والحميدي في مسنده (١/٢٩٦) ح ٢٧٢ .

(٤) فتح الباري لابن رجب (٩/٢٣٢) .

(٥) الاستصحاء : مصدر استصحي ، أي طلب انقطاع المطر لكثرته وشدته ، تكملة المعاجم العربية (٦/ ٤٢٥) .
صَحْو: جوّ لا غيم فيه، الدُنيا صحو: الجو صحو لا غيم فيه (بوشر) .

(٦) متفق عليه : تقدم تخريجه في أنواع الاستسقاء .

(٧) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ١٣) .

(٨) الاستذكار (٢/ ٤٣٤) .

وللإجابة علي هذا السؤال ، أقول : ورد في السنة من الأحاديث مايدل على أن وقت نزول المطر وقت ترتجى فيه إجابة الدعاء ، لكن جميعها لا يخلو من ضعف ، منها :حديث أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: " تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ الْتِقَاءِ الصُّفُوفِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَعِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ"قال البوصيري عقبه : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ لِضَعْفِ عَفِيرِ بْنِ مَعْدَانَ، وَتَدْلِيسِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ .[1] ومرسل مكحول عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اطْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، ونُزُولِ الْغَيْثِ» .[2] وقد استدل بعض أهل العلم بهذه الأحاديث مع ضعفها علي أن وقت نزول المطر من أوقات إجابة الدعاء ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[3]، وللإجابة عن استدلالهم بالأحاديث الضعيفة ، يتبين أن استدلالهم بها مع ضعفها راجع لأحد أمرين :فمنهم من احتج بهذه الأحاديث ، إما بمفردها ، أو بمجموع هذه الأحاديث، ومن هؤلاء من المعاصرين الشيخ الألباني رحمه الله حيث قال بعد بيان ضعف الأحاديث: وهي وإن كانت مفرداتها ضعيفة، إلا أنها إذا ضمت إلى هذا المرسل - يقصد مرسل - أخذ بها قوة وارتقى إلى مرتبة الحسن إن شاء الله .[4] ومنهم من يرى ضعفها، ولكنهم يتسمحون في مثل هذا ، لأن هذا مما لايتعلق به حكم ، ولأن الله سمى الغيث رحمة ، فيرجى أن يكون وقت تنزل الرحمة وقت إجابة للدعاء ، والله أعلم

٢- حسر الثوب ليصيب المطر بدنه الشريف : [5]ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا نزل المطر حسر ثوبه لينا له المطر، وعلل ذلك بكونه حديث عهد بربه ، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى". [6]

---

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٣٤٤/٢) ، قلت : ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٩) ح ٧٧١٣ ، وقال الهيثمي : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عُفَيْرُ بْنُ مَعْدَانَ، وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ، بجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/١٥٥) ، وقال الحافظ ابن حجر : إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ التلخيص الحبير (٢٦٥/٤) .

(٢) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٥/ ١٨٦) ، قال الألباني : (صحيح) انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٣٥ ح ١٠٢٦) ، وقال عبد القادر الأرناؤوط : وهو مرسل أو معضل، لأن جل رواية مكحول عن التابعين، قال الحافظ في تخريج الأذكار: وله شاهد عن عطاء بن أبي رباح قال: تفتح السماء عند ثلاث خلال فتحروا فيها الدعاء، فذكر مثل مرسل مكحول أخرجه سعيد بن منصور فى سننه، وهو مقطوع جيد، له حكم المرسل، لأن مثله لا يقال بالرأى ، روضة المحدثين (١٠/ ١٧١) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٢) .

(٤) السلسلة الصحيحة صـ ٤٦٩ .

(٥) **حَسَرَ** : أي كشف عن بعض جسده ليصيبه المطر ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٨٣) مادة " حَسَرَ " .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة الاستسقاء بَابُ الدُّعَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ٢/٦١٥ح٨٩٨وأبو داود في سننه كتاب الأدب بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا هَاجَتِ الرِّيحُ٤/٣٢٦ح١٠٠٥وأحمدفي مسنده١٩/٣٦٤ح١٢٣٦٥ح١٣٨٢٠وابن حبان في صحيحه كتاب النحوم والأنواء ذِكْرُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ الِاسْتِمْطَارُ فِي أَوَّلِ مَطَرٍ يَجِيءُ فِي السَّنَةِ١٣/٥٠٥) ح ٦١٣٥ .

والمعنى كما قال النووي : أي بتكوين ربه إياه، ومعناه أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها .[1] وقد استحب العلماء فعل هذا عند نزول المطر ، قال النووي رحمه الله : فيه دَلِيلٌ لِقَوْلِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ عِنْدَ أَوَّلِ الْمَطَرِ أَنْ يَكْشِفَ غَيْرَ عَوْرَتِهِ لِنَالَهُ الْمَطَرُ .[2]

المطلب السادس

أسباب القحط وحبس المطر

لقد تكفل الله ﷻ برزق المخلوقات جميعاً ، قال تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[3] وحصر خلقهم في الدنيا لعبادته ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[4] ، لكن قد يبتعد الإنسان عما خلق من أجله وهو العبادة ويشغل نفسه بما تكفل الله به ، فيرتكب أموراً تحول بينه وبين ما قدَّره الله له من رزق أو يتسبب بأفعاله في أن يمنع الله الرزق عن خلقه ومن هذه الأسباب المانعة للرزق ، ومنها القطر :

١- كثرة المعاصي :

من الأسباب الموجبة لحبس المطر ، وانتشار القحط والجفاف، كثرة المعاصي ، لأن المعاصي سبيل لإغضاب الرب سبحانه وتعالى : قال عمر بن عبد العزيز ﷺ : يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لاَ يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا، اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلُّهُمْ .[5] وهذا لا يكون إلا إذا رضي به العامة ، فَعَنِ الْعُرْسِ بْنِ عَمِيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى تَعْمَلَ الْخَاصَّةُ بِعَمَلٍ تَقْدِرُ الْعَامَّةُ أَنْ تُغَيِّرَهُ وَلَا تُغَيِّرُهُ، فَذَاكَ حِينَ يَأْذَنُ اللَّهُ فِي هَلَاكِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ".[6] ولا يقتصر شؤم المعصية علي الناس فقط ، بل قد يتعداه إلى المخلوقات الأخرى ، فعَنْ مُجَاهِدٍ فِي تفسير قَوْلِه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[7]، قَالَ: الْبَهَائِمُ؛ إِذَا (أَسْنَتَتِ)[8] الْأَرْضَ، قَالَتِ الْبَهَائِمُ: هَذَا مِنْ أَجْلِ عُصَاةِ بَنِي آدَمَ، لَعَنَ اللَّهُ عُصَاةَ بَنِي آدَمَ .[9] وقد أوضح الله ﷻ أن أهل الكتاب لو قاموا بأوامر التوراة والإنجيل وابتعدوا عن

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦ / ١٩٥) .

(٢) المرجع السابق (٦ / ١٩٥) .

(٣) سورة هود : من الآية (٦) .

(٤) سورة الذاريات : آية (٥٦) .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ – كتاب القدر – مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْعَامَّةِ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ ٥/١٤٤٣ ح ٣٦٣٦ ، والحميدي في مسنده (٢/ ٢٩٥) ح ٢٧١ .

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٣٨) ح ٣٤٣ وقال الهيثمي : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٢٦٨) ح ١٢١٤٣ .

(٧) سورة البقرة : من الآية (١٥٩) .

(٨) **أَسْنَتَتِ الأرض** : أجدبت وأصابتها سنة شديدة ، لسان العرب (١٤ / ٤٠٥) .

(٩) التفسير من سنن سعيد بن منصور (٢/ ٦٣٨) ح ٢٣٦ وقال محققه : إسناده صحيح ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٤) ح ٣٠٤٦.

نواهيهما، لأدرّ الله عليهم الرزق، ولأمطر عليهم السماء وأنبت لهم الأرض[1] قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[2].ولا شك أن الناس قد يحرمون الأرزاق بالذنوب يصيبونها؛ لأن من لم يتق الله لا يجعل الله له مخرجًا ولا يرزقه من حيث لا يحتسب، وما استجلب رزق بمثل ترك المعاصي[3]؛ لمفهوم قول الله تعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[4].ولما بالغت قريش في معصيتها وجحودها وظلمها وتعنتها وتكذيبها للنبي ﷺ ، وأبطأوا في إسلامهم دعا عليهم النبي ﷺ بالشدة ، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : " إِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا غَلَبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَاسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ، قَالَ : " اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ أَكَلُوا فِيهَا العِظَامَ وَالمَيْتَةَ مِنَ الجَهْدِ، حَتَّى جَعَلَ أَحَدُهُمْ يَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الجُوعِ"[5].فانتشار المعاصي وكثرتها إذا عمت طمت ، ولا ينفع مع وقوع العذاب وجود القلة من الصالحين ، ولا يحجزه خوف من بقي من المتقين المخبتين . قالت : زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنها للنبي ﷺ : أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ فقالَ ﷺ : " نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ ".[6]ومعلوم أن المعاصي تُزيل النعم وتُحِلُّ النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلّت به نقمة إلا بذنب،قال الله ﷻ:﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾[7]، وقال أيضاً:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[8]، فلا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص٢٣٨.

(٢) سورة المائدة : الآيتان (٦٥-٦٦) .

(٣) الجواب الكافي، لابن القيم، صـــ ٥٢ .

(٤) سورة الطلاق : (الآيتان: ٢، ٣) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن – بَابُ قَوْلِهِ:﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوســف: ٢٣] (٦/ ٧٧) ح ٤٦٩٣ ، وباب تفسير سورة الروم (٦/ ١١٤) ح ٤٧٧٤ ، وبَابُ قَوْلِهِ:نج نتثث (٦/ ١٢٤) ح ٤٨٠٩ ، وبَــابُ قَوْلِهِ: ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ [الدخان: ١٢] (٦/ ١٣١) ح ٤٨٢٢ ، وبَــابُ ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان: ١٣] (٦/ ١٣٢) ح ٤٨٢٣ – ٤٨٢٤ ، وكتاب الدعوات – بَابُ الدُّعَاءِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ (٨/ ٨٣) .

(٦) متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب أحاديث الأنبياء – بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ (٤/ ١٣٨) ح٣٣٤٦ ، ومسلم في صحيحه – كتاب الفتن وأشراط الساعة – بَابُ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (٤/ ٢٢٠٧) ح ٢٨٨٠ .

(٧) سورة الشورى : الآية (٣٠) .

(٨) سورة الأنفال : الآية (٥٣) .

يغيِّر الله تعالى نعمته التي أنعم بها على أحدٍ حتى يكون هو الذي يُغَيِّرُ ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه،فإذا غيَّر، غُيِّر عليه جزاءً وفاقًا، وما ربُّك بظلام للعبيد.

قال : عبد الله بن المبارك :

أيضمن لي فتى تركَ المعاصي ... وأَرْهَنُهُ الكفالة الخلاص

أطاع الله قومٌ استراحوا ... ولم يتجرعوا غُصص المعاصي[1]

وقد أحسن القائل :

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ... فربُّ العباد سريع النقم[2]

٢–منع الزكاة :

لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : " ...ولَمْ يَمْنَعْ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا "[3].

قال الشوكاني رحمه الله : قَوْلُهُ : (وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ...) فِيهِ أَنَّ مَنْعَ الزَّكَاةِ مِنْ الْأَسْبَابِ الْمُوجِبَةِ لِمَنْعِ قَطْرِ السَّمَاءِ وَقَوْلُهُ: (وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ...) فِيهِ أَنَّ نُزُولَ الْغَيْثِ عِنْدَ وُقُوعِ الْمَعَاصِي إِنَّمَا هُوَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لِلْبَهَائِمِ .[4] ومن جميل ما ورد في هذا المقام ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ – لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ – فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ " .[5]

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (١/ ٣٦٤) .

(٢) الجواب الكافي، لابن القيم، صـــ١٤٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه – كتاب الفتن – باب العقوبات (٢/ ١٣٣٢) ح ٤٠١٩ ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٢) ح ٨٦٢٣ وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، ووافقه الذهبي ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٤٦) ح ١٣٦١٩ ، وفي الأوسط (٥/ ٦١) ح ٤٦٧١ ، وفي كشف الأستار عن زوائد البزار (٢/ ٢٦٨) ح ١٦٧٦ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ٣١٨) ح ٩٦١٥ رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. ، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/٢٧٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧/١، برقم ١٠٦.

(٤) نيل الأوطار ٤/٥ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الزهد والرقائق – بَابُ الصَّدَقَةِ فِي الْمَسَاكِينِ (٤/ ٢٢٨٨) ح ٢٩٨٤ .

٣- **تطفيف المكيال والميزان :** فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : ومنها " ...وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ " (١)

٤- **التكبر** :التكبر في الأرض، والتعالي على الخلق، والافتخار بالمال، أو الجاه، أو المنصب، أو السلطان ، كل ذلك قد يؤدي إلي حبس المطر ، فالغيث لا يترل إلا بإظهار التضرع لله، والانكسار بين يده ، قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (٢) .

وقد وصف حبر الأمة عبد الله بن عباس هيئة خروج النبي ﷺ للإستسقاء فقال : " **خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاضِعًا، مُبْتَذِلًا مُتَخَشِّعًا، مُتَضَرِّعًا مُتَرَسِّلًا** " (٣)

٥- **انتشار الفساد** : قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٤)

وفساد البر والبحر هو قلة خيراتهما وما فيهما من أسباب الرزق والمعيشة، وسبب فسادهما هو فساد العباد وسوء أعمالهم، إلى غير ذلك من الأسباب المانعة من الرحمة وبركات الأرض والسماء .

وينبغي التنبيه هنا إلى أمر يثيره بعض الناس وهو أن في بلاد الكفار تكثر الأمطار وتسهل أسباب المعيشة، وتتعسر في كثير من بلاد المسلمين؟ والجواب على هذا هو أن الله تعالى عجل لهؤلاء متعتهم في الدنيا ليفتنهم بها، كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (٥)وقد سأل عمر بن الخطاب ﷺ النبي ﷺ فقال : " **ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ، وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: " أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ**

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه – أبواب الفتن – بَابُ الْعُقُوبَاتِ (٥/ ١٤٩) ح ٤٠١٩ وقال شعيب الأرنؤوط : حسن لغيره ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٢) ح ٨٦٢٣ وقال : حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ووافقه الذهبي ، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٦١) ح ٤٦٧١.

(٢) سورة الأنعام : الآيات (٤٢-٤٣) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب الطهارة – جُمَّاعُ أَبْوَابِ صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ وَتَفْرِيعِهَا (١/ ٣٠٢) ح ١١٦٥ ، والترمذي في سننه – أبواب السفر – بَابُ مَا جَاءَ فِي صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ (٢/ ٤٤٥) ح ٥٥٨ وقال : حسن صحيح ، والنسائي في المجتبى – كتاب الاستسقاء – بَابُ الْحَالِ الَّتِي يُسْتَحَبُّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا إِذَا خَرَجَ (٣/ ١٥٦) ح ١٥٠٦ ، وابن ماجة في سننه – كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – بَابُ مَا جَاءَ فِي صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ (١/ ٤٠٣) ح ١٢٦٦ ، وقال الألباني : حسن ، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧٤) ح ١٢١٨ وقال : هَذَا حَدِيثٌ رُوَاتُهُ مِصْرِيُّونَ وَمَدَنِيُّونَ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ مَنْسُوبًا إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْجَرْحِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٨٤) ح ٤٨٩٣ ، والدارقطني في سننه (٢/ ٤٢٤) ح ١٨٠٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٤٨٤) ح ٦٤٠٣.

(٤) سورة الروم : آية (٤١) .

(٥) سورة طه : آية (١٣١) .

يَا ابْنَ الخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا " .[1] مع العلم أن هؤلاء وإن ملكوا القصور العالية والمراكب الفارهة وغير ذلك فقلوبهم في ضيق ونكد، كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [2] وقد يرجع البعض أسباب القحط وقلة المطر إلى أسباب مادية ، مجردة عن العلاقة بالله ﷻ كسوء الظروف الطبيعية ومنها التغيرات المناخية أو أسباب ناتجة عن النشاط الإنساني كالزيادة السكانية ، والتي يرافقها زيادة في الاستهلاك ، وكذلك التطور الاقتصادي والاجتماعي ، وكل ذلك يؤدي إلى زيادة الطلب على الماء ، لكن هذه الأسباب في الحقيقة راجعة إلى ما تقدم ذكره ، فهذه أسباب خاصة تدخل ضمناً فيما تقدم . **وقد يرسل الله ﷻ الغيث للناس لكنه لا يرفع الجدب عنهم** : فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " **لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا** " .[3] قال النووي رحمه الله : وَالْمُرَادُ بِالسَّنَةِ هُنَا الْقَحْطُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [4] أي بالقحوط . [5] قَالَ الْقَاضِي: الْمَعْنَى أَنَّ الْقَحْطَ الشَّدِيدَ لَيْسَ بِأَنْ لَا يُمْطَرَ، بَلْ بِأَنْ يُمْطَرَ وَلَا يَنْبُتَ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ حُصُولَ الشِّدَّةِ بَعْدَ تَوَقُّعِ الرَّخَاءِ، وَظُهُورِ مَخَائِلِهِ وَأَسْبَابِهِ أَفْظَعُ مِمَّا إِذَا كَانَ الْيَأْسُ حَاصِلًا مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَالنَّفْسُ مُتَرَقِّبَةٌ لِحُدُوثِهَا .[6] فلا تظنوا أن الرزق والبركة من المطر بل الرزق من الله تعالى فرب مطر لا ينبت منه شيء .[7]

** **وسائل استدرار المطر :**

بجانب ما تقدم من هدي النبي في الاستسقاء بالصلاة والدعاء ، هناك وسائل أخري تزيد من التقرب إلي الله سبحانه وتعالي ، واللجوء إلى فضله وعفوه ، منها :

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب بَابُ الْغُرْفَةِ وَالْعُلِّيَّةِ الْمُشْرِفَةِ وَغَيْرِ الْمُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا ٣/ ١٣٣ح ٢٤٦٨ ومسلم في صحيحه كتاب الطلاق بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ التحريم: ٤ (٢/ ١١١١) ح ١٤٧٩.

(٢) سورة طه : آية (١٢١) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الفتن وأشراط الساعة – بَابٌ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِمَارَتِهَا قَبْلَ السَّاعَةِ (٤/ ٢٢٢٨) ح ٢٩٠٤ ، وأحمد في مسنده (١٤/ ٣٢٥) ح ٨٧٠٣ ، وابن حبان في صحيحه – باب الأدعية – ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ سُؤَالِهِمْ رَبَّهُمْ أَنْ يُبَارِكَ لَهُمْ فِي رَبِيعِهِمْ دُونَ اتِّكَالِهِمْ مِنْهُ عَلَى الْأَمْطَارِ (٣/ ٢٧٦) ح ٩٩٥ ، والشافعي في مسنده (٢/ ٦٧) ح ٥٣١ ، والبيهقي في السنن الكبرى – كتاب صلاة الاستسقاء – بَابُ كَثْرَةِ الْمَطَرِ وَقِلَّتِهِ (٣/ ٥٠٧) ح ٦٤٨٠ .

(٤) سورة الأعراف : من الآية (١٣٠) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٩) .

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١١١٦) .

(٧) المرجع السابق (٥/ ٢٠١) .

١- **الاعتصام بالكتاب والسنة** : فهما طريق الفلاح والاستقامة ، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ (١)

٢- **الإيمان والتقوي والقيام بالواجبات ، والإقلاع عن المعاصي** : من أعظم أسباب إنزال البركات، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) قال القرطبي رحمه الله في قوله ﭼ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ : يَعْنِي الْمَطَرَ وَالنَّبَاتَ . (٣) وقال السعدي رحمه الله : ذكر الله ﷻ أن أهل القرى لو آمنوا بقلوبهم إيمانًا صادقًا صدَّقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهرًا وباطنًا، بترك جميع ما حرَّم الله؛ لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارًا، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كدٍّ ولا نَصَب، ولكنهم لم يؤمنوا ولم يتقوا ﭼ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭼ بالعقوبات والبلايا، ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا فلو أخذهم بجميع ما كسبوا ما ترك عليها من دابة . (٤)

٣- **الاكثار من الاستغفار** : قال تعالى على لسان نوح ﷺ : ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (٥)

٤- **الشعور بالاضطرار إلى الله تعالى** : قال تعالى﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(٦) بل قد استقر عند العلماء، أن المضطر لا يوصي غيره بالدعاء له، بل يدعو هو لنفسه، لأنه مرجو الإجابة أكثر من غيره ، قال عبيد الله بن أبي صالح : " **دَخَلَ عَلَيَّ طَاوُسٌ يَعُودُنِي، فَقُلْتُ لَهُ: ادْعُ اللهَ لِي يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ: ادْعُ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّهُ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** " . (٧)وقال أبو غَالِبٍ الْقَطَّانِ : عاد أبو بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ مَرِيضًا فَقَالَ الْمَرِيضُ لِبَكْرٍ: ادْعُ اللَّهَ ﷻ لِي، فَقَالَ: «**ادْعُ لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**» . (٨) فإذا استسقى الناس فلم يُسقَوْا، دل ذلك على ضعف في الاضطرار، وفتور في الارتباط بالله تعالى والتوكل عليه ، وهو السر في أن رسول الله ﷺ كان يستسقي ربه فيسقيه فورا .

---

(١) سورة الجن : آية (١٦) .

(٢) سورة الأعراف : آية (٩٦) .

(٣) تفسير القرطبي(٧/٢٥٣)،فتح القدير للشوكاني(٢/٢٥٩)،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٥٣١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي، صـــ٢٩٨.

(٥) سورة نوح : الآيات (١٠-١٢) .

(٦) سورة النمل : من الآية (٦٢) .

(٧) شعب الإيمان (١٢/ ٣٦٧) ٩٥٥٦ .

(٨) الدعاء للطبراني (ص: ٣٤٦) .

المبحث الثالث

موقف الفقهاء من الاستمطار

وفيه مطلبان

المطلب الأول

آراء المؤيدين وأدلتهم

اختلف الفقهاء في عملية الاستمطار الصناعي ما بين مؤيد ومعارض ، واعتمد كل فريق علي أدلته وهي :

١-المؤيدون وأدلتهم :

أن الاستمطار الصناعي جائز ، واستدل أصحاب هذا الرأي بأنه لا يعلم مانع شرعي يمنع من هذا ، وممن تبني هذا الرأي الشيخ العلامة محمد رشيد رضا[١] والشيخ عطية صقر[٢] ، ود ياسين محمد الغادي[٣] ، ودائرة الإفتاء الأردنية ، واشترطت لذلك شرطين :

الأول : الاعتقاد الجازم أن أمر نزول المطر بيد الله يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء، وما يحصل من أسباب البشر إنما حصل بإلهامه تعالى لهم، وإعطائهم الوسائل المساعدة، وإنجاح عملهم، فهو مثل إنجاب الأبناء إنما يحصل بفضله تعالى، وليس الزواج والتلقيح إلا سبب ألهمه الله البشر وأعانهم على تحقيق المقصود به، وكم من أزواج مكثوا أزماناً ولم يرزقوا أولاداً ، فهو سبحانه وتعالى: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[٤]

الثاني : أنه يتعين مراجعة أهل الخبرة في البيئة والصحة حتى يتأكد أنه لا يوجد إضرار بالناس يحصل بسبب ما يستخدم من المواد الكيماوية .[٥]

والاستمطار وحده لا يغني عما أمرنا به من سنة النبي ﷺ ولا يستغني به عن هديه الشريف ، بل لابد من الأخذ بهديه ﷺ أولاً من صلاةٍ ودعاءٍ كما ورد ، مع كثرة الاستغفار والتوبة الصادقة وتقوي الله ، فإن نزل المطر فذلك فضل الله له الشكر وله الحمد ، وإن لم ينزل المطر لجأ الإنسان إلي هذه العملية ، مع اعتقاده الجازم بأن الأمر كله بيد الله .

---

(١) مجلة المنار ١٤٥/٥ .

(٢) فتاوي الأزهر ٤٠٥/٧ ، استمطار السحب حقيقته وحكمه صـ٥ .

(٣) حكم الاستمطار في الإسلام ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد ٥٩ لسنة ٢٠٠٣ .

(٤) سورة الشورة : الآيات (٤٩-٥٠) .

(٥) دائرة الإفتاء الأردنية / عمان الرابط

http://www.aliftaa.jo/index.php/fatwa/show/id/2573

قال تعالى حكاية عن نوح : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [2]

وعليه فإن الاستمطار جائز وضروري عند انحباس المطر، وبدون سحاب لا يكون؛ لأن السحب هي التي توزع الماء العذب على القارات، ويغذي المطر والثلج والبرد كلاً من العيون والوديان والأنهار والمياه الجوفية، ويتواصل نزول المطر من السحاب على الأرض منذ مليارات السنين، ولكن علم الإنسان بأجمعه غير قادر على أن يوضح سر هذا المطر . [3]

المطلب الثاني

المعارضون وأدلتهم

قال أعضاء اللجنة العلمية الدائمة للإفتاء والبحوث : ما يسمى بـــالمطر الصناعي لم يثبت حسب علمنا أنه على ما يذكر عنه ، بل الأمر مبالغ فيه، وأمره والحمد لله لا يشكل، وذلك أن الله أطلعهم على أن المطر يحدث بقدرة الله بتفاعل أشياء، فهم يعمدون إلى عملها، وقد يحدث حصول بعض الأمر وقد لا يحدث، وإن حدث فهو في حيز ضيق، وليس كالمطر الذي ينزله الله تعالى من السحاب؛ ولذا نعلم كما يعلم غيرنا أن الدول التي تعمد إلى تجربة ما يسمى بـــ :المطر الصناعي لا تستفيد منه، وإذا لم ينزل الله تعالى عليها المطر من السماء عاشت في قحط وفقر . [4] وممن عارض الاستمطار الصناعي أيضاً ، دكتور خالد بن مفلح آل حامد الأستاذ المساعد في قسم الفقه المقارن في المعهد العالي للقضاء بالسعودية : واستدل بأن الله اختص بإنزال المطر بجميع أطواره، فالله هو المنفرد بإنزال المطر، وهو الذي يعلم وقت نزوله ومكانه، ومقداره إذا نزل، وهو الذي يرسل الرياح، وهو الذي يشكل السحب، ويسوقها حيث يشاء، فلامدخل لأي مخلوق كان أن يؤثر في هذه الحقائق، وقد بين الله ذلك بياناً واضحاً في آيات كثيرة منها: قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [5] ويقول سبحانه: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾ [6] ، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [7] ، ويقول عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة نوح : الآيات (١٠-١٢) .

(٢) سورة الأعراف : آية (٩٦) .

(٣) القرآن والكون صـــ ١٠٤ ، حكم الاستمطار في الإسلام د ياسين محمد الغادي .

(٤) فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء — المجموعة الثانية ٢٤١/١ ، أعضاء اللجنة الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ ، والشيخ صالح الفوزان ، ود بكر أبو زيد .

(٥) سورة الشوري : آية (٢٨) .

(٦) سورة الروم : الآيات (٤٨-٤٩) .

(٧) سورة السجدة : آية (٢٧) .

عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) ، ويقول سبحانه: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ (٢) ، ويقول ﷻ : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ (٣) ، ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (٤) . واستدل أيضاً بأن الوسائل التي شرعت لنا من أجل إنزال المطر النافع محصورة في الدعاء والاستغفار والتوبة والطاعة، ومن ذلك قوله سبحانه على لسان هود عليه السلام : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ (٥) وقوله سبحانه على لسان نوح عليه السلام : ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ (٦) ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (٧) فإنزال المطر لا يكون إلا بفعل العبادات التي تقرب إلى الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها " **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** " (٨) ومحاولة إنزال المطر بهذه التقنية الحديثة مخالف لكل ذلك، ولأنه قد جاء التحدي من الله لكل مخلوق في أن ينزل المطر، وقد جاء ذلك في صورة السؤال الإنكاري، كما في قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ (٩) من أجل ذلك تؤكد الحقائق القرآنية في الآيات السابقة – والمؤيدة بالحقائق العلمية أن الإنسان لا يمكن أن يكون له مدخل في إنزال المطر، إلا على سبيل التخرص والتكهن كما هو الحال في هذه التقنية الحديثة، فلا يصح أن يقال هذا من قبيل فعل الأسباب كحرث الأرض للزرع، وكالزواج لإنجاب الولد وغيرها من الأسباب التي تترتب عليها مسبباتها، فإن هذه

---

(١) سورة لقمان : آية (٣٤) .

(٢) سورة الحجر : آية (٢٢) .

(٣) سورة المؤمنون : آية (١٨) .

(٤) سورة الزخرف : آية (١١) .

(٥) سورة هود : آية (٥٢) .

(٦) سورة نوح: آية (١١) .

(٧) سورة الأعراف : آية (٩٦) .

(٨) متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الصلح – بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ (٣/ ١٨٤) ح ٢٦٩٧ ، وأخرجه تعليقاً في كتاب البيوع – بَابُ النَّجْشِ، وَمَنْ قَالَ: «لاَ يَجُوزُ ذَلِكَ البَيْعُ» (٣/ ٦٩) ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – بَابُ إِذَا اجْتَهَدَ العَامِلُ أَوِ الحَاكِمُ، فَأَخْطَأَ خِلاَفَ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، فَحُكْمُهُ مَرْدُودٌ (٩/ ١٠٧) ، ومسلم في صحيحه – كتاب الأقضية – بابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ (٣/ ١٣٤٣) ح ١٧١٨.

(٩) سورة الواقعة : الآيات (٦٨-٦٩) .

أسباب مشروعة ومأمور بها، مع أن الله قادر أن لا يحدث الإنجاب، أو الإنبات للأرض، أما إنزال المطر فلا سبيل لأحد إليه بأي وسيلة كانت سوى التقرب إلى الله بالعبادة .

وبناءً على ذلك ، فإن محاولة استخدام هذه التقنية في إنزال المطر لا تخلو من العبث، والجرأة، والتكذيب، أما العبث فلأنه غير ممكن شرعاً ولا عقلاً ولا واقعاً ، وأما الجرأة فلأنه تجرؤ على أمر قد اختص الله به، وأما التكذيب، فلأن الإنسان بهذه التقنية الحديثة يدعي أن الله لم يختص بذلك ، فتقنية الاستمطار تقول بلسان الحال أو بلسان المقال : نحن المنزلون! إذا نزل المطر كما يظهر ذلك من بعض التصريحات الصحفية، وإذا لم ينزل، قالوا: لم يأذن الله بذلك!!! فيجعلون لله ما يكرهون، ويجعلون لأنفسهم الحسنى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومن أدلته أيضاً : أن الاعتقاد باستمطار السحب إذا كان صحيحاً عند أحد من المسلمين فإنه لا يخلو من أمرين **أولهما** : أن ينسب إنزال المطر لغير الله نسبة كاملة مطلقة، فهذا شرك أكبر من شرك الربوبية، ولا أظن أحداً من المسلمين يعتقد ذلك، **وثانيهما** : أن ينسب إنزال المطر إلى سبب من الأسباب، كالأنواء، أو تقنية الاستمطار أو غير ذلك، مع اعتقاده أن المؤثر في ذلك هو الله وحده، فهذا يعتبر من الشرك الأصغر؛ لعدة أمور من أهمها أن تقنية الاستمطار سبب غير مشروع أصلاً ، كما أنه سبب قد أثبتت التجربة فشله، فهو سبب فاقد للمؤهلات الشرعية، والعلمية المبنية على التجربة، وإذا كان العلماء ينسبون الشرك الأصغر لمن اعتمد على الأسباب المشروعة وحدها إذا نسي المسبب لها، فكيف بمن يعتمد على سبب غير مشروع أصلاً .

ومن أدلته أيضاً : أنه قد دل الدليل على بطلان هذه التقنية من كلام أهل الاختصاص، وكلامهم في هذا أكثر وأشهر من أن يذكر، فإنه قد تقرر عندهم – من خلال التجارب التي أجريت في مجال زيادة الأمطار– أن النتائج كانت في أغلبها سلبية ، وأخفقت العديد من المشاريع خاصة مشاريع بذر السحب، بحيث لم تحقق الهدف الذي تبتغيه، بل كانت النتيجة معاكسة، وهي حدوث تناقص في الهطول، وكانت نسبة التناقص في العديد من المشاريع تفوق نسبة الزيادة المعتادة والمتوقعة قبل إنجاز المشروع، كما أن عمليات إسقاط المطر لا تزال غير اقتصادية ومكلفة، ولذا لم تخرج إلى حيز التنفيذ الميداني إلا على شكل تجارب بحثية بهدف الدراسة .

وطالب بإيقاف مشروع الاستمطار الصناعي لأنه قد ثبت وجود الضرر في استخدام هذه التقنية على الأحياء من البشر والحيوان والنبات؛ لأن المواد المستخدمة في بذر السحب مواد سامة بحسب تصنيف المنظمات العالمية، ومنها مكتب البيئة والصحة والسلامة بجامعة بيركلي، كاليفورنيا بالولايات المتحدة حيث صنف يود الفضة بأنه مادة كيماوية غير عضوية، خطرة، لا تذوب في الماء، وسامة للإنسان والأسماك،وتفهرس وكالة حماية البيئة الأمريكية مادة يود الفضة ضمن المواد الخطرة والسامة.[1]

(١) مجلة الرياض عدد يوم الثلاثاء ١٢ رجب ١٤٢٩ هـ – ١٥ يوليو ٢٠٠٨ عدد رقم ١٤٦٣١ .

ومن المعارضين أيضاً د عبد الله الشهري حيث قال : لا تعارض إن كان بأسباب كونية أودعها الله في الكون، ولو شاء ربك ما فعلوه ، وقد طُبقت في أوزوبا وأمريكا، فيُبحث: هل نجحت؟ ومن وجهة نظري اعتقد أن الاستمطار الصناعي تعبير عن الجفاف الروحي الذي يعاني منه الإنسان المعاصر، وكناية عن الجدب النفسي، والقحط الاعتقادي، وهو مثال على احتقار الناس اليوم للأسباب الشرعية ودورها المباشر في جلب الرزق، كما أنه مؤشر على استعداد الانسان المعاصر للمضي في ذنوبه وجرائمه مع استمطار الرحمة من غير الطريق الذي يستلزم افتقار الخلق إلى خالقهم ، وبقي أن نسأل : ماذا يغني الاستمطار إذا هطلت أمطار لا بركة فيها؟ هل يستطيعون استمطار البركة؟ وقد صح عنه ﷺ أن قال " **لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا** " .[1]

وهناك رأي ثالث : يرى التسوية بين الاستمطار الصناعي والاستسقاء ، وحجتهم أنه لا يوجد من الأدلة القرآنية وغيرها ما يمنع من التعامل مع السحب — لأنها هي التي توزع الأمطار بأساليب وطرق علمية مبتكرة تتعلق بشحنها أو تلقيحها بمواد تجعلها تزيد أو تسرع في المطر؛ لأن العملية أولاً وأخيراً هي استمطار أو استسقاء فعلها النبي ﷺ وصحابته، وأجمع عليها الفقهاء، لكن مع اختلاف الأسلوب والطريقة حسب الزمان والمكان، وحسب التطورات العلمية التي تشهدها الأجيال، واستمطار المطر بشحن السحب أو تلقيحها — بوسائل علمية وتكنولوجية مخترعة — لتستمطر لا يعني أبداً تحدي عوالم الله العجيبة، بل تسخير وإعمال لهذه العوالم بموجب المصالح الكثيرة التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها لبني الإنسان ، واستدل أصحاب هذا الرأي بالقرآن والسنة والإجماع والعقل :

أولاً: القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾[2] ، وقال عز من قائل: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾[3] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾[5] والشاهد : إن هذه الآيات تعلمنا شيئاً عن العلاقة بين المطر والرياح والسحاب بطريقة علمية، تجعلنا نقترب كثيراً لفهم مبدأ الاستمطار

---

(١) حديث صحيح : تقدم تخريجه صـــ٤٥ .

(٢) سورة النور : آية (٤٣) .

(٣) سورة الحجر : آية (٢٢) .

(٤) سورة الأعراف : آية (٥٧) .

(٥) سورة فاطر : آية (٩) .

بصورته المبسطة وكيفياته وحكمه، فماء المحيطات والبحار يتبخر بفعل الطاقة الشمسية، أي أن الماء المائع يصبح غازاً لا يرى مثل الهواء، فتحمل الرياح هذا الغاز الساخن وتصعد به إلى الطبقات الجوية العليا، فإذا التقى هذا الغاز بأجسام باردة كجبل مرتفع مثلاً أو رياح باردة في الطبقات العليا من الجو، ترك حرارته ورجع مائعاً على شكل قطرات صغيرة جداً، يكون حجمها جزءاً من ألف من المليمترات تقريباً، فلا تسقط هذه القطرات على سطح الأرض للزوجتها في الهواء بسبب حجومها الصغيرة، ثم تأتي السحب التي فيها مطر — ولكنه ضعيف لا يترل على الأرض لضعف السحابة — تحملها الرياح، فيتم تلقيح السحابة بواسطة الرياح، وهذا هو اللقاح الأول، ويتم من مزج شيئين أحدهما بارد والآخر ساخن، لكن لا يتحول البخار ماءً بمجرد اتصاله بشيء بارد، بل ينبغي على الرياح أن تحمل معها (مراكز تمييع) وهي قسيمات مجهرية من الغبار الذي تثيره من سطح الأرض إلى السماء، وهكذا يقع تلقيح الهواء، ليصبح سحاباً، وتصبح الرياح بهذه الصفة .[1]إن القطرات التي يتكون منها السحاب مشحونة كهربائياً، إما سالبة كلها، وإما موجبة كلها، وإما نصفه الأسفل من نوع كهربائي، ونصفه الأعلى من نوع آخر — وهذه الكهرباء تجعل قطرات السحاب لا تتجمع، بل تدفع بعضها بعضاً — وتحمل الرياح هذا السحاب إلى أن يلتقي إما بسحاب آخر أو جبل، أو أي مرتفع ذي كهرباء مضادة، فتتصل الكهرباء السالبة بالكهرباء الموجبة، فيتكون تلقيح من نوع آخر، وهذا هو النوع الثالث من التلقيح، تكونه الرياح للسحاب، وينشأ عنه البرق ثم الرعد، فيصبح السحاب محايداً لا كهرباء فيه، فتتضخم قطراته بسرعة وتسقط على الأرض في شكل مطر، أو إذا كانت البرودة شديدة، في شكل ثلج، وهذا لا يقع إلا بإذن الله، فهناك سحب لا يسقط منها مطر ولو نشأ الرعد فيها، وهناك سحب صغيرة بدون رعد تنشأ عنها أمطار غزيرة كل ذلك بإذن الله .[2]ثم على الوجه الآخر يقول الحق ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾[3] ، أي ثقيلة قريبة من الأرض بسبب امتلائها بالماء [4] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾[5] ، قال الإمام القرطبي في تفسيره : (فِي هذه الآية دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الِاسْتِغْفَارَ يُسْتَنْزَلُ بِهِ الرِّزْقُ وَالْأَمْطَارُ)[6] ، ولا شك أن الاستغفار هو طريق وواجب أولي للاستمطار، فكيف لو اقترن بفعل على الواقع يتعامل فيه مع السحابة ! لأن الرزق

---

(١) لله العلم، بشير التركي، ص ١٦٤-١٦٥، وانظر التفسير الكبير ٤٦٣/٦، وانظر الله والكون ، لجمال الفندي صـ ١٦٥، حكم الاستمطار في الإسلام د ياسين محمد الغادي .

(٢) لله العلم صـ١٦٥ بشير التركي .

(٣) سورة الرعد : آية (١٢) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤٣٠/٣) .

(٥) سورة نوح : الآيات (١٠-١١) .

(٦) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٠٢) .

سببه المطر أو أن المطر سبب في الرزق، وقال عز من قائل: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[1] ، أي يرسل السماء بالمطر متتابعاً يتلو بعضه بعضاً[2] ، فعلق إرسال المطر بالاستغفار ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[3] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[4] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[5] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾[6] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[7] ، وقال عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾[8]

فهذه الآيات تنهض بمجموعها لتؤيد فكرة الاستمطار بالطرق العلمية المبتكرة، فإذا كانت العوالم المخلوقة جميعها مسخرة للإنسان من أرض كذلول، ومن سماء كركوب، ومن فضاء كهبوط وصعود، ومن سحب لتنزيل المطر، فلا داع أن يظن أن هذه الأخيرة أعظم شأناً، وأبعد منالاً كي يتحرج الإنسان من التعامل معها أو الوقوف أمامها موقف العجز والكسل أو الذي لا حول له ولا طول، لا سيما وأن الآيات القرآنية حدثتنا عنها إلى حد بعيد، وبالأخص في مثل النوع الثقيل (السحاب الثقال) القريبة من الأرض التي تعزم على إفراغ حمولتها من المطر، وهذا يعني أن نوعاً أو أنواعاً أخرى بعيدة أو قريبة من الأرض، لكنها غير ثقيلة، فتحتاج إلى تلقيح بقذف بلورات أو مساحيق أو أبخرة — مما استطاع العقل البشري تصنيعه — كمساعد لها في التكاثف والهطول .هذا وإذا وجدنا من يزعم أننا بعدنا عن الجادة وضللنا الطريق بقولنا: إن السحب تستمطر، والقابلية لشحنها بمساحيق أو بلورات موجودة — مستدلاً

(١) سورة هود : من الآية (٥٢) .
(٢) تفسير البغوي (٥/ ٢٠٠) .
(٣) سورة الأعراف : آية (٩٦) .
(٤) سورة الحجر : من الآية (٢٢) .
(٥) سورة البقرة : من الآية (٦٠) .
(٦) سورة الفرقان : آية (٤٩) .
(٧) سورة الأعراف : من الآية (١٦٠) .
(٨) سورة الشعراء : آية (٧٩) .

بآيات القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [1] ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [2] — فنجيب أن هذه فيها دلالة على المؤيدين لفكرة الاستمطار لا الشاجبين، لأن إنزال المطر من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله وحده، ولا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، هذا أولاً. وثانياً : إن كل ما يفعله العالم المجرب والمكتشف للمطر الصناعي هو فقط تجارب على عوالم موجودة ومثبوتة في ملكوت الله ﷻ الواسع، وليس إحداث شيء من العدم، والتجارب إما أن تؤول إلى نجاح أو إلى فشل، فإذا نجحت فذلك شيء علمه الله لمن شاء من خلقه، وإذا فشلت فشيء حجبه الله عمن شاء من خلقه، وفي هذا يقول ابن كثير: (وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر الله به علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن يشاء — أي الله — من خلقه) [3] ، ويمثل المعنى نفسه يقول ابن عباس: إن بخار الماء لفي نقرة إبهامه (يقصد ملك الرعد الذي يسوق السحاب والموكل به بحيث يصرفه حيث يؤمر) [4]

ثانياً : من السنة :وقد استدل بحديث أنس بن مالك في طلب الرجل الاستسقاء من النبي ﷺ ، ثم طلبه أن تمسك السماء بعد أن كثر المطر . [5]ثم قالوا — أي المستدلين علي تسوية الاستمطار بالاستسقاء — : فالاستمطار الذي هو استسقاء[6] تم بواسطة دعاء النبي ﷺ كما أن انحسار الماء وتوقفه تم — أيضاً — بدعاء الرسول ﷺ ، وهو الذي علّمنا ذلك، وجرى على هذا الخلفاء والأمراء والفقهاء والعلماء وإلى وقتنا هذا.فكلما حل بالمسلمين جفاف أو انقطاع من الأمطار توجهوا إلى الله ﷻ يستسقونه، ويطلبون منه إنزال رحماته وبركاته على الأرض، فما يكاد المسلمون يرجعون من صلوات الاستسقاء وأدعيته إلا وترى الأمطار تنهمر مدرارا .وبحديث عبد الله بن عباس في خروج النبي ﷺ للاستسقاء . [7]وبحديث أبي هريرة ﷺ قال : " خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا يَسْتَسْقِي، فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ بِلَا أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ، ثُمَّ خَطَبَنَا وَدَعَا اللَّهَ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ نَحْوَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ، ثُمَّ قَلَبَ رِدَاءَهُ فَجَعَلَ الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَيْسَرِ وَالْأَيْسَرَ عَلَى الْأَيْمَنِ " . [8] وبحديث عبد الله بن زيد الجهني في خروج النبي ﷺ للاستسقاء وتحويل ظهره ورداءه . [9]ثم قالوا : يُفهم من هذه الأحاديث أن فعل الاستسقاء مسنون ، ومثله الاستمطار .

---

(١) سورة الواقعة : الآيات (٦٨-٧٠) .

(٢) سورة لقمان : آية (٣٤) .

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٥٢) ، وانظر الله والكون صـ ١٠٦ .

(٤) تفسير القرطبي ٢٩٦/٩ .

(٥) حديث متفق عليه : تقدم تخريجه صـ٢٩ .

(٦) يلحظ هنا التسوية بين الاستمطار والاستسقاء .

(٧) حديث صحيح : تقدم تخريجه صـ٤٤ .

(٨) أخرجه ابن ماجة في سننه — كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - بَابُ مَا جَاءَ فِي صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ (١/ ٤٠٣) ح ١٢٦٨ ، وأحمد في مسنده (١٤/ ٧٣) ح ٨٣٢٧ وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره ، وابن خزيمة في صحيحه — كتاب الصلاة - بَابُ إِعَادَةِ الْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ (٢/ ٣٣٨) ح ١٤٢٢.

(٩) حديث متفق عليه : تقدم تخريجه صـ٣٨.

ثالثاً: من الإجماع :

أجمع الفقهاء على جواز الاستسقاء (الاستمطار) مع خلاف بينهم حول بعض تفصيلاته المتعلقة بالصلاة والدعاء وأشخاص الاستمطار وهيئاته وذلك كالتالي :

يرى أبو حنيفة – رحمه الله – في ظاهر الرواية: أنه لا صلاة للاستمطار أو الاستسقاء، وإنما فيه الدعاء، وأراد لا صلاة في الاستسقاء: أي لا صلاة فيه بجماعة، بدليل ما رواه أبو يوسف أنه قال: سألت أبا حنيفة عن الاستسقاء هل فيه صلاة أو دعاء مؤقت أو خطبة؟ فقال: أما صلاة بجماعة فلا، ولكن الدعاء والاستغفار، وإن صلوا وحداناً فلا بأس به . (١)

يفهم من كلام أبي حنيفة أن الاستسقاء أو الاستمطار يكتفى فيه بالدعاء، لأنه السبب لإرسال الأمطار، لقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ (٢) ، ورسول الله ﷺ استسقى، و لم يرو عنه الصلاة .

لكن رد الحافظ الزيلعي بأن استسقاءه عليه الصلاة والسلام صحيح وثابت، أما أنه لم يرو عنه صلاة الاستسقاء فغير صحيح، بل صح أنه صلى فيه، وليس في الحديث أنه استسقى و لم يصل، بل غاية ما يوجد ذكر الاستسقاء، دون ذكر الصلاة، ولا يلزم من عدم ذكر الشيء عدم وقوعه . (٣)

ويرى الصاحبان وجمهور الفقهاء أن للاستمطار أو الاستسقاء صلاة، وأنها سنة بالاتفاق، وأن الخروج إلى الاستسقاء والبروز عن المصر والدعاء إلى الله تعالى والتضرع إليه في نزول المطر سنة سنها رسول الله ﷺ ما احتيج إليها، صلاها رسول الله ﷺ وخلفاؤه ﷺ ، وتكرر ثانياً وثالثاً وأكثر، إن لم يسقوا، حتى يسقيهم الله تعالى، فإن الله يحب الملحين في الدعاء . (٤)

ويرى المالكية للاستمطار أو الاستسقاء صلاة، فإن أمطروا بعد تأهبهم لصلاتها صلوها لطلب سعة، روى أبو مصعب عن مالك: البروز إلى المصلى للاستسقاء لا يكون إلا عند الحاجة الشديدة، ومثل المالكية الشافعية، حيث يجتمع المصلون للدعاء والشكر، ولو سقوا في أثنائها (أي أثناء الصلاة) أتموها جزماً . (٥)

ويرى الحنابلة أنهم إذا أمطروا قبل الخروج للاستمطار لا يخرجون، إنما يشكرون الله على نعمته، ويسألوه المزيد من فضله، لكن إذا خرجوا وأمطروا قبل الصلاة، صلوا شكراً لله تعالى مع التحميد والدعاء . (٦)

---

(١) حاشية ابن عابدين ٨٤/١، والهداية ٨٨/١، وبدائع الصنائع ٢٨٢/١.

(٢) سورة نوح : الآيات (١٠-١١).

(٣) نصب الراية ٢٣٨/٢، وانظر الفقه الإسلامي وأدلته ، وهبة الزحيلي ٤١٣/٢ .

(٤) بداية المجتهد ٢١٤/١-٢١٥، والقوانين الفقهية ص ٦٠، والشرح الصغير ٥٣٨/١، ومغني المحتاج ٣٢٥/١، والمهذب ١٣٠/١، والمغني ٢٨٣/٢، وكشاف القناع ٦٦/٢ .

(٥) مواهب الجليل ٢٠٥/٢، بداية المجتهد ٢١٥/١، ومغني المحتاج ٣٢١/١ .

(٦) المغني ٢٨٣/٢ .

ويرى الظاهرية أن الاستمطار أو الاستسقاء دعاء مع صلاة ركعتين .[1]

يفهم من هذا أن الفقهاء متفقون على التعامل مع السحب والغيوم لاستمطارها بالدعاء والصلاة لله ﷻ بأن تمطر، فإن قيل: إن هذه الصلاة لا علاقة لها بالصعود العلمي المعروف اليوم إلى الجو لشحن الغيوم أو تلقيحها لتستمطر، فنجيب أن الصلاة نوع أو أسلوب من الأساليب الكثيرة للتعامل مع العوالم الكونية الخاضعة لأمر الله بالصدع والاستجابة، وبالتالي يصح أن يتعامل مع هذه العوالم بأساليب أخرى لاستمطارها، زيادة على الصلاة، تبعاً للتقدم والاكتشاف العلمي، فالرسول ﷺ وصحابته والخلفاء من بعدهم استسقوا بالخروج إلى الصحراء متذللين متواضعين عليهم ثياب خلقة غسيلة، وبعضهم استسقى بالأطفال والشيوخ والعجائز [2] ؛ لأن دعاءهم أقرب إلى الإجابة، وبعضهم استسقى بالدواب والمجانين [3] ؛ لأن الرزق مشترك بين الكل، وبعضهم استسقى بذوي الصلاح والدين من الناس؛ لأنه أسرع في استجابتهم، وبعض المخلوقات كالنملة مثلاً استسقت بالاستلقاء[4] ، فكل الطرق السالفة الذكر أساليب، فلا يعدو — والحالة هذه — أن يكون تلقيح السحب واستمطارها واحدة من تلك الأساليب، أو مضافة إلى تلك الأساليب، أو طريقة من الطرق الممكنة، وإن اختلفت الوسيلة تبعاً للزمان والمكان، ما دام ذلك فيه التزام بقواعد الشريعة، وعدم خروج على قواعدها العامة ومبادئها الأصلية .

رابعاً: من العقل:

إن العقل يشتد توقانه لأن يعتقد أو يصدق من أن الاكتشافات العلمية أوصلت الإنسان إلى أن يتعامل مع عوالم الله العجيبة مثل السحب والغيوم، ويستسقيها أو يستمطرها على هدي من تعليمات الشريعة، طالما أنها في الأصل خلقت لمصلحة الإنسان وفائدته، بشرط أن يتنبه الأخير إلى المحددات الشرعية التي تسمح له بولوج هذا النوع من الاكتشاف والبحث في علم الله الغزير الذي سخره له، وذلك حتى لا تؤدي به تجاربه إلى خيبة أمل يجنيها على نفسه، وعلى الإنسانية جمعاء، مما يدخل في نطاق العلوم المحرمة أو المرفوضة، كما لو زعم أحدهم أن فعله هذا كان على غير مثال سابق، أو استحداث مطر من العدم مما لم ينبه عليه القرآن الكريم ولا السنة النبوية، فالاستمطار ليس إحداث شيء

---

(١) المحلى ٥/٩٣ .

(٢) يندب عند الحنفية والشافعية خروج هؤلاء، انظر حاشية ابن عابدين ٢/١٨٥، ومغني المحتاج ١/٣٢٢-٣٢٣، والمهذب ١/١٣٠ .

(٣) هذا في الأصح عند الحنفية والشافعية، انظر مصادر شاهد ٤٧ .

(٤) روي أن سليمان عليه السلام "خرج يستسقي، فرأى نملة مستلقية، وهي تقول: (اللهم إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن رزقك فقال سليمان: ارجعوا، فقد سقيتم بدعوة غيركم) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بمعناه، فذكر بإسناده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، وهو صحيح الإسناد، انظر: سنن الدارقطني (٢/٦٦) ، مستدرك الحاكم (١/٤٧٣) ، وهو عند الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١/٣٢٥) ، المجموع ٥/٦٧ ، فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار (٢/ ٦٨٥) ح ٢١١٧ ، تنبيه القارئ (١/ ٧٥) .

من العدم، أو اختراع من غير ما مثيل من تعليمات الشريعة، إنما هو اكتشاف وتجارب مؤيدة بنصوص الشريعة مع العمل الدؤوب والحث المستمر – بعد التوكل على الله – لزيادة كميات المطر أو تسريعها، ولا سيما في مثل السحب القابلة أصلاً للمطر أو التي تحتاج إلى مساعدة في زيادة كمية المطر، وذلك كالحيوان الذي يزاد في تغذيته لتزداد كميات حلبه ومرائها.(١)

** توجيه الأدلة :

بعد عرض آراء الفقهاء في الاستمطار الصناعي،وذكر أدلة كل فريق،وعند مناقشتها تبين الآتي:

أما أدلة الفريق الأول: وهم المؤيدون فأدلتهم قوية،حيث لم يرد في القرآن ما يمنع من التعامل مع هذه التقنية خاصة إذا صح التوكل وبالشروط التي ذكروها، لكن يبقي إمكانية تحقق هذه العملية ونجاحها أمراً غير مجزوم به، كما أن نتائج تحققها مرهون بالاحتمال ، وعلي فرض نجاحها فإن معايير قياس مدي نجاحها غير متحقق ، لعدم التمييز بين نجاحها بسبب تلك التقنية ، أو نجاحها بإرادة الله إذا فشلت تلك التقنية ، كما أن المواد المستخدمة مشكوك في سلامتها كما أكد ذلك أهل الاختصاص ، هذا فضلاً عن ارتفاع تكلفة تلك التقنية مقابل النتائج المحققة .

أما أدلة المعارضين وهي :

١– الدليل الأول : أن عملية الاستمطار لم تثبت حسب علمهم ، لكن هذا الدليل لا ينهض للاحتجاج ، فليس عدم علم الإنسان بالشئ دليل علي إنكاره ، فإذا كانوا لم يعلموه فهناك من علمه ودرسه وأقره ، فلا يصلح هذا دليلاً لردها .

٢– الدليل الثاني : أن الله اختُص بإنزال المطر بجميع أطواره، فالله هو المنفرد بإنزال المطر، وهو الذي يعلم وقت نزوله ومكانه، ومقداره إذا نزل، وهو الذي يرسل الرياح، وهو الذي يشكل السحب، ويسوقها حيث يشاء، فلا مدخل لأي مخلوق كان أن يؤثر في هذه الحقائق .وهذا قول صحيح ولا جدال فيه ، وفيه رد علي من اكتفي بهذه التقنية دون اللجوء إلي الله تعالي ، لكن يبقي من قام بهذه العملية ولم يدَّع أنه تدخل في خلق الله ، أو أنه شارك الله سبحانه وتعالي في الفعل ، وادعي أن غاية أمره أنه يتعامل مع مخلوقات ومواد خلقها الله بالفعل ، فهو لم يبدعها ، ولم يأت بشئ من العدم فهو يتعامل مع موجودات أوجدها الله سبحانه وتعالي ، وهذا رأي موجه حيث لم يثبت النهي عن ذلك .

٣– الدليل الثالث : الآيات القرآنية التي تنسب إنزال المطر لله ﷻ ، وهي آيات موجهة لمن يقوم بهذه التقنية بنية الإشراك مع الله تعالي ، لكن تبقي حجة المجيزين فيمن قام بها بدون هذه النية أو قام بها بعد الأخذ بجميع الأسباب من الاستسقاء والتضرع واللجوء إلي الله تعالي أولاً .

٤– الدليل الرابع : أن إنزال المطر لا يكون إلا بفعل العبادات التي تقرب إلى الله ، وهذا دليل مقبول ، فكل فعل يبعد الإنسان عن طاعة الله ﷻ هو فعل مرفوض ومردود ، لكن لم يرد ما يفيد أن قصر إنزال المطر هو بالصلاة والدعاء فقط ، وحصره فيها قول لا دليل عليه ، فإن قيل الحصر مستفاد من فعل النبي

(١) الاستمطار في الاسلام ، د. ياسين محمد الغادي صـــ٣–٥ .

ﷺ والصحابة ، فيرد عليه بأن هذه التقنية لم تكن قد ظهرت في عهد النبي ﷺ ولا الصحابة حتى ينكروها ، وكثير من التقنيات لم تكن علي عهد النبي ﷺ ولا الصحابة ومع ذلك أقرها الفقهاء ، كطفل الأنابيب ، والتبرع بالأعضاء ، وغيرها من النوازل .

٥- الدليل الخامس : أنه استدل بأن عملية الاستمطار ، قد تؤدي إلي نسبة إنزال المطر لغير الله نسبة كاملة مطلقة ، أو لسبب من الأسباب وكلاهما شرك أكبر في الأولي وأصغر في الثانية ، فهذا قول موجه ، لكن يعترض عليه بمن يقوم بهذه التقنية بعد صلاة الاستسقاء والأخذ بكل الأسباب التي أمر الشرع بها ، وفي اعتقاده أن الفاعل في كل شئ هو الله سبحانه وتعالي فهل يعد هذا من أنواع الشرك ؟ الجواب لا ، فالدليل إذن ليس قطعي .

٦- الدليل السادس : استدل على بطلان تقنية الاستمطار من كلام أهل الاختصاص، من أن نتائج هذه العملية كانت في أغلبها سلبية ، وأخفقت العديد من المشاريع خاصة مشاريع بذر السحب، بحيث لم تحقق الهدف الذي تبتغيه، بل كانت النتيجة معاكسة، وهي حدوث تناقص في الهطول ، وهذا رأي موجه فقد نهينا عن إضاعة المال فيما لا فائدة فيه ، أو إنفاقه فيما يشك في نتائجه .

٧- الدليل السابع : أن المادة المستعملة وهي (يوديد الفضة) مادة ضارة وتؤثر علي الإنسان والكائنات ، وإذا ثبت ذلك فهو دليل معتبر أخذاً بقاعدة " لا ضرر ولا ضرار " لكن هناك طرق أخري للاستمطار لم يثبت لها أضرار حتى الآن كالاستمطار بأشعة الليزر ، وبرش الماء فوق السحب ، وغيرها ، فيبقي المجال مفتوحاً ، وتستثني طريقة الاستمطار بمادة يوديد الفضة لضررها إن ثبت ذلك .

٨- الدليل الثامن : أن الاستمطار الصناعي تعبير عن الجفاف الروحي الذي يعاني منه الإنسان المعاصر، وكناية عن الجدب النفسي، والقحط الاعتقادي، وهو مثال على احتقار الناس اليوم للأسباب الشرعية ودورها المباشر في جلب الرزق، كما أنه مؤشر على استعداد الإنسان المعاصر للمضي في ذنوبه وجرائمه مع استمطار الرحمة من غير الطريق الذي يستلزم افتقار الخلق إلى خالقهم .وهذا قول موجه فإن تقنية الاستمطار قد تكون عائقاً أمام التوكل المأمور به الإنسان ، أو اكتفائه بالأسباب دون المسبب سبحانه وتعالي في كثير من الأحيان خاصةً في المجتمعات غير المسلمة ، فقد يصرفهم ذلك عن الإيمان بالله تعالي إذا نزل المطر ، فيدعون أنهم هم من أنزلوه وليس الله تبارك وتعالي ، فيحملهم ذلك علي الصد عن دينه والإيمان به والاكتفاء بالماديات فقط .

**** الرأي الراجح :**

بعد استعراض أدلة كل فريق ومناقشتها تبين أن تقنية الاستمطار وإن كانت ضرباً من العلم الذي أمر الإنسان بالاستزادة منه ، أو أنه سبب من الأسباب التي أمر الإنسان بالأخذ بها ، حتى وإن جاءت بعد التوكل علي الله واستيفاء كافة الأمور الشرعية ، لكن قد يستعمله البعض لمعارضة التوكل علي الله تعالي ، والاكتفاء بالماديات فقط دون الاعتماد علي الله تعالي أو اللجوء إليه ، وقد يصرف البعض عن الإيمان المأمورين به ، كما أنه لا يعدو كونه مجرد تجارب علي أرض الواقع قد تصيب وقد تخطئ و لم

تصل إلي مرحلة التطبيق الفعلي ، مع صعوبة قياس عوامل النجاح ، لعدم القدرة علي التحكم الكلي فيها ، كما أن بعض المواد المستخدمة غير آمنة وقد تسبب أضراراً تؤثر علي حياة الكائنات ، وهذا منهي عنه ، هذا فضلاً عن التكلفة المرتفعة لتطبيقه ، حيث ثبت أن هذه التقنية تحتاج إلي أموال طائلة لتنفيذها ، مع عدم اليقين بتحقق نتائجها ، وهذا يعد ضرباً من إضاعة المال فيما لا يفيد .وعليه فإن الإنسان مطالب بما ورد في الشرع الحنيف من الاستسقاء كما ورد عن النبي ﷺ وعن صحابته الكرام ، حيث يعد الطريق الناجح والآمن والمتيقن في نزول المطر ، كما وعد الخالق سبحانه وتعالي ، ونتائجه مجربة كما ورد في سنة النبي الأمين ﷺ ، وبه تقوي صلة العبد بربه ولجوئه إليه ، قال تعالي ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.[1]

(١) سورة النمل : آية (٦٢) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الخلق المبعوث رحمة للعالمين ،،،

وبعد

فبعد تعرضنا لموقف السنة من إحدي المسائل الحديثة، وهي مسألة الاستمطار الصناعي ، ظهرت عدة نتائج منها :

١- صلاحية السنة لكل زمان ومكان .

٢- دعوة السنة المطهرة إلي التعامل مع المستجدات والنوازل ، هذا يؤكد أن بعثة النبي ﷺ للعالمين .

٣- قد يتعارض الاستمطار الصناعي مع ما ورد في القرآن أو السنة من التوكل علي الله والإنابة إليه .

٤- التقدم العلمي أمر مأمور به كل مسلم كل في تخصصه ومجاله ، واستجابة لقوله تعالي ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[1] ، بشرط ألا يتعارض مع الإيمان المأمور به .

٥- الاستمطار الصناعي وإن كان وسيلة من الوسائل وسبب من الأسباب التي أمرنا بالأخذ بها ، لكن ثبت ما يعارضه ويشكك في إمكان تحققه .

٦- تعدد طرق الاستمطار وكثرتها .

٧- عدم أخذ النبي ﷺ بتقنية الاستمطار لا يعد دليلاً علي منعها ، وذلك لعدم توافرها في عهده ﷺ أو في عهد الصحابة الكرام ، لكن يرد علي عليه من خلال أدلة أخري .

وهناك بعض التوصيات نوصي بها :

١- تسخير العلم لخدمة الإنسان ، وأن علي العلماء المسلمين في شتي تخصصاتهم إبراز فضائل الدين الإسلامي في تعامله مع كافة المستجدات والنوازل .

٢- استثمار الإعجاز العلمي وتعامل الإسلام مع المستجدات وسيلةً للدعوة ، لمن لا يؤمن إلا بالعلم .

٣- الأخذ بالطرق الشرعية عند الاستسقاء ، من صلاة ودعاء وتضرع لله تعالي وهذا أقرب الطرق وأفضلها وأيسرها عند وقوع الجدب وقلة الماء ، مع تحقق نجاحها بما ورد في السنة المطهرة .

٤- العدول عن تقنية الاستمطار لا يعني ، عدم تشجيع الأبحاث الخاصة بالأرصاد الجوية ، والأبحاث والتجارب المتعلقة بالفلك ، بل علي الإنسان أن يبحث ويتعلم طالما أن هذا العلم لا يتعارض مع تعاليم الدين الحنيف ، وقد يكون ذلك سبباً في قوة الإيمان ، أو الدخول في الإسلام لعجز الإنسان عن إنزال المطر بنفسه ، وأن القادر علي ذلك هو الله وحده سبحانه وتعالي .

---

(١) سورة طه : من الآية (١١٤) .

مراجع البحث

القرآن الكريم : جل من أنزله .

١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري ، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م،عدد الأجزاء: ٩ .

٢- استمطار السحاب ، د. عبدالله بن عمر السحيباني .

٣- استمطار السحب حقيقته وحكمه ، خالد بن عبد الرحمن الشايع .

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .

٥- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، المؤلف: أبو حاتم محمد بن حبان ، البُستي ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي ابن بلبان الفارسي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، عدد الأجزاء: ١٨ .

٦- الاختيار لتعليل المختار ، مجد الدين أبو الفضل عبد الله بن محمود الموصلي الحنفي ، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة ، مطبعة الحلبي - القاهرة ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م ، عدد الأجزاء: ٥ .

٧- الاستذكار ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢١ – ٢٠٠٠ ، عدد الأجزاء: ٩ .

٨- الاستمطار ، د علي حسن موسي أستاذ في قسم الجغرافية – جامعة دمشق ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، جزء واحد .

٩- الاستمطار في الإسلام د ياسين محمد الغادي ، بحث في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت سنة ١٤٢٣ هـ ، http://www.almoslim.net/node/84368

١٠- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، سراج الدين ابن الملقن أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، تحقيق : مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال ، دار الهجرة – الرياض السعودية ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، عدد الأجزاء: ٩ .

١١- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨ م ، جزء واحد .

١٢- التفسير من سنن سعيد بن منصور ، أبو عثمان سعيد بن منصور ، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، عدد الأجزاء: ٥

١٣- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م ، عدد الأجزاء: ٤ .

١٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي،محمد عبد الكبير البكري،وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب ، ١٣٨٧ هـ ، عدد الأجزاء: ٢٤

١٥- التوقيف على مهمات التعاريف ، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي ، عالم الكتب -القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، جزء واحد .

١٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، عدد الأجزاء: ٩ .

١٧- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، عدد الأجزاء: ٢٠ .

١٨- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار المعرفة - المغرب ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

١٩- الحجة على أهل المدينة ، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، تحقيق : مهدي حسن الكيلاني القادري عالم الكتب - بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣ ، عدد الأجزاء: ٤ .

٢٠- الدعاء ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

٢١- السنن الكبرى ، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٢٢- السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي ، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، عدد الأجزاء: ١٢ .

٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين-بيروت،ط٤،١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م ، عدد الأجزاء: ٦ .

٢٤- العناية شرح الهداية ، أكمل الدين أبو عبد الله محمد بن محمد ، الرومي البابرتي ، دار الفكر ، بدون طبعة وبدون تاريخ ، عدد الأجزاء: ١٠ .

٢٥- الفائق في غريب الحديث والأثر ، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ، تحقيق : علي محمد البجاوي — محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة — لبنان ، ط٢ ، عدد الأجزاء: ٤ .
٢٦- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ، وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر - سوريَّة — دمشق ، ط٤ ، عدد الأجزاء: ١٠ .
٢٧- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، د سعدي أبو حبيب ، دار الفكر. دمشق — سورية، ط٢ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٢٨- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت — لبنان ، ط٨ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٢٩- القرآن والكون ، محمد عبد الله الشرقاوي ، مكتبة الزهراء القاهرة .
٣٠- القوانين الفقهية ، أبو القاسم محمد بن الكلبي الغرناطي .
٣١- الله والكون ، جمال الدين الفندي .
٣٢- المبسوط ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي ، دار المعرفة — بيروت ، بدون طبعة ، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، عدد الأجزاء: ٣٠ .
٣٣- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية — حلب ، ط٢ ، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦م ، عدد الأجزاء: ٩ .
٣٤- المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية — بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، عدد الأجزاء: ١١ .
٣٥- المحلى بالآثار ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، دار الفكر — بيروت ، عدد الأجزاء: ١٢ .
٣٦- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية — بيروت ط١ ، ١٤١١ هـ— ١٩٩٠م ، عدد الأجزاء: ٤ .
٣٧- المسند المستخرج على صحيح مسلم ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، عدد الأجزاء: ٤ .
٣٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المكتبة العلمية — بيروت ، عدد الأجزاء: ٢ .

٣٩- المطلع على ألفاظ المقنع ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي ، تحقيق : محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب ، مكتبة السوادي للتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م ، جزء واحد .

٤٠- المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين — القاهرة ، عدد الأجزاء: ١٠ .

٤١- المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية — القاهرة ، ط٢ ، عدد الأجزاء :٢٥ .

٤٢- المغني ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي ، مكتبة القاهرة ، عدد الأجزاء: ١٠ .

٤٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي — بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ ، عدد الأجزاء: ١٨ .

٤٤- المهذب في فقه الإمام الشافعي ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، دار الكتب العلمية ، عدد الأجزاء: ٣ .

٤٥- الموسوعة العربية العالمية .

٤٦— الموطأ ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي ، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي — الإمارات ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، عدد الأجزاء: ٨

٤٧- النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير ، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ، عدد الأجزاء: ٥ .

٤٨- الهداية في شرح بداية المبتدي ، أبو الحسن برهان الدين علي بن أبي بكر ، المحقق: طلال يوسف ، دار إحياء التراث العربي - بيروت — لبنان ، عدد الأجزاء: ٤ .

٤٩- بداية المبتدي ، أبو الحسن برهان الدين ، علي بن أبي بكر المرغيناني، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح — القاهرة .

٥٠- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، أبو الوليد محمد بن أحمد الشهير بابن رشد الحفيد ، دار الحديث — القاهرة ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م ، عدد الأجزاء: ٤ .

٥١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، عدد الأجزاء: ٧ .

٥٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، أبو الفيض محمّد بن محمّد الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية .
٥٣- تحرير ألفاظ التنبيه ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، دار القلم – دمشق ط١ ، ١٤٠٨هـ .
٥٤- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، عدد الأجزاء: ٨ .
٥٥- تقنية الاستمطار د عبد الله المسند ، عضو هيئة التدريس بقسم الجغرافيا بجامعة القصيم– السعودية .
٥٦- تلوث البيئة د/ شفيق يونس .
٥٧- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م ، عدد الأجزاء: ٨ .
٥٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م ، جزء واحد .
٥٩- جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، عدد الأجزاء: ٢٤ .
٦٠- رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين محمد أمين بن عمر الحنفي ، دار الفكر-بيروت ، ط٢ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، عدد الأجزاء: ٦ ، «الدر المختار للحصفكي شرح تنوير الأبصار للتمرتاشي» بأعلى الصفحة يليه - مفصولا بفاصل - «حاشية ابن عابدين» عليه، المسماه «رد المحتار» .
٦١- زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت،ط٢٧,١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، عدد الأجزاء: ٥ .
٦٢- سبل السلام ، أبو إبراهيم عز الدين الصنعاني ، دار الحديث ، بدون طبعة وبدون تاريخ ، عدد الأجزاء : ٢ .
٦٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، ط١ ، عدد الأجزاء: ٦ .
٦٤- سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي ، عدد الأجزاء: ٢ .
٦٥- سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، عدد الأجزاء: ٤ .

٦٦- سنن الترمذي ، أبو عيسي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي — بيروت ، ١٩٩٨ م ، عدد الأجزاء: ٦ .

٦٧- سنن الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم ، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

٦٨- شرح السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش -المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، عدد الأجزاء: ١٥ .

٦٩- شرح سنن ابن ماجه ، للسيوطي ، الناشر: قديمي كتب خانة — كراتشي ، جزء واحد .

٧٠- شرح صحيح البخارى لابن بطال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد- السعودية الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، عدد الأجزاء: ١٠ .

٧١- شعب الإيمان ، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي — الهند ، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، عدد الأجزاء: ١٤ .

٧٢- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ، تحقيق : د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، عدد الأجزاء: ١١ .

٧٣- صحيح مسلم ، أبو الحسن القشيري النيسابوري مسلم بن الحجاج ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي — بيروت ، عدد الأجزاء: ٥ .

٧٤- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية ، راجعه: عبد الحميد محمد المهدي ، مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي .

٧٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، أبو محمد محمود بن أحمد العينى ، دار إحياء التراث العربي — بيروت ، عدد الأجزاء: ٢٥ .

٧٦- عمل اليوم والليلة ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : د. فاروق حمادة ، مؤسسة الرسالة — بيروت ط٢ ، ١٤٠٦ ، جزء واحد .

٧٧- غريب الحديث ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، عدد الأجزاء: ٣ .

٧٨- فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، عدد الأجزاء: ٢٦ .
٧٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب،عليه تعليقات العلامة:عبد العزيز بن عبد الله بن باز،عدد الأجزاء:١٣.
٨٠- فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤ هـ .
٨١- كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، عدد الأجزاء: ٨ .
٨٢- كشاف القناع عن متن الإقناع ، منصور بن يونس البهوتى الحنبلى ، دار الكتب العلمية ، عدد الأجزاء : ٦ .
٨٣- كشف الأستار عن زوائد البزار ، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .
٨٤- لسان العرب ، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور ، دار صادر — بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ ، عدد الأجزاء: ١٥ .
٨٥- لله العلم ، بشير التركي - ١٩٧٩م ، تونس .
٨٦- مجلة الرياض ، عدد رقم ١٤٦٣١ .
٨٧- مجلة العربي العلمي العدد ٦٤٧ — الكويت .
٨٨- مجلة العلوم والتقنية العدد الثاني عشر .
٨٩- مجلة المنار (كاملة ٣٥ مجلدا) ، محمد رشيد بن علي رضا ، وغيره من كتاب المجلة .
٩٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي، القاهرة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، عدد الأجزاء: ١٠ .
٩١- مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٩٢- مختار الصحاح ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت — صيدا ، ط٥ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٩٣- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء-الجامعة السلفية-بنارس الهند، ط٣ - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م .

٩٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ، دار الفكر، بيروت — لبنان ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، عدد الأجزاء: ٩ .

٩٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٩٦- مسند الإمام الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطتين: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني ، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م ، عدد الأجزاء: ٢ .

٩٧- مسند الحميدي ، أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ دار السقا، دمشق — سوريا ، ط١ ، ١٩٩٦ م ، عدد الأجزاء: ٢

٩٨- مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، المكتبة العتيقة ودار التراث عدد الأجزاء: ٢ .

٩٩- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري ، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي ، دار العربية — بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣ هـ ، عدد الأجزاء: ٤ .

١٠٠- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م عدد الأجزاء: ٤ .

١٠١- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، عالم الكتب، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣ هـ ، عدد الأجزاء: ٤ .

١٠٢- معرفة السنن والآثار ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق ، بيروت)، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، عدد الأجزاء: ١٥ .

١٠٣- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ، دار الكتب العلمية ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، عدد الأجزاء: ٦ .

١٠٤- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالحطاب الرُّعيني ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، عدد الأجزاء: ٦ .

١٠٥- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي التهانوي ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون — بيروت، ط١ - ١٩٩٦م ، عدد الأجزاء: ٢.

١٠٦- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي ، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي ، قدم للكتاب: محمد يوسف البَنُوري ، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري ، المحقق: محمد عوامة ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت -لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة - السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، عدد الأجزاء: ٤

١٠٧- نيل الأوطار ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث، مصر ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، عدد الأجزاء: ٨ .

** مواقع علي الشبكة العنكبوتية (الانترنت) :

a. أرشيف منتدى الألوكة .

http://www.cranfieldairport.com-

http://www.startimes.com/f.aspx?t=11681529 -

http://www.alfredah.net/forum/threads/alfredah17677/-

See Gagin, A., Neumann, The Second Israeli Randomized Cloud seeding experiment, Evaluation of Rusults, Journal of Applied Meteorology, 21, 1981, p.1301-1311. / See Hill, Et., Analysis of precipitation Augmentation Potential in Winter Orographic clouds Use of A/C Icing reports, Journal of Applied Meteorology 21,1982, p. 165-170.

http://islamqa.info/ar/ref/119296Gagin,A.,Neumann,The second Israeli Randomized cloud -seeding experiment. Evaluation of Rustts, Journal of Applied Meteorology, 21, 1981, p. 1301- 1311.-

http://3arabimag.com/Article.asp?Art=213&ID=18-

http://forum.stop55.com/116181.html-

http://www.wasse3.com/2011/04/cloud-seeding - /

http://www.weathermod.com/aircraft_modification.php -

http://www.popsci.com/science/article/2012-07/better-lasers-may-be-used-effectively-create-rain-See more at: http://www.el-balad.com/918082#sthash.77LXi511.HFlxOWMh.dpuf-

http://www.popsci.com/science/article/2012-07/better-lasers-may-be-used-effectively-create-rain

http://www.el-balad.com/918082-